دولة ماليزيا

وزارة التعليم العالي (KPT)

جامعة المدينة العالمية

كلية العلوم الإسلامية

قسم الأدب العربيِّ والنّقد الأدبيِّ

(الثُّنائِيّاتُ الجَماليّةُ في شِعرِ المُعلّقاتِ)

بحثٌ تكميليٌ لِنيلِ درجةِ الماجستيرِ في اللّغةِ العربيّةِ وآدابها.

الطّالب: نعيم عبدالرزّاق الخطّاب

إشراف: الدّكتور أحمد عبد العاطي

العام الدراسي

1433 –2012م

Formatted: Centered

Formatted: Font: 18 pt, No underline, Complex Script Font: 18 pt

Formatted: Right, Indent: First line: 0 cm

Formatted: Right, Indent: First line: 0 cm

صفحة الإقرار

أقرت جامعة المدينة العالمية بماليزيا بحث الطالب **(نعيم عبدالرزّاق الخطّاب)** من الآتية أسماؤهم:

المشرف

د\ أحمد على عبد العاطى

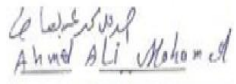

د\عبدالله رمضان

الممتحن الداخلي

د\مصطفى رزق السواحلى

الممتحن الخارجى

أحمد محمد عبد العاطي

الرئيس

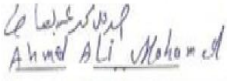

Formatted: Font: 28 pt, Bold, Underline, Complex Script Font: 28 pt, Bold

Formatted: Centered

Formatted: Centered

Formatted: Centered

Formatted: Font: 18 pt, Complex Script Font: 18 pt

APPROVAL PAGE

The dissertation of (name abd el raze khatab) has been approved by the following:

Supervisor

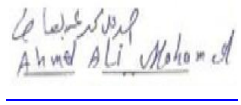

Internal Examiner

External Examiner

Chairman

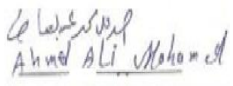

Formatted: Centered

Formatted: Font: 16 pt, Complex Script Font: 16 pt

إعلان

أقر بأن هذا البحث هو من عملي الخاص، قمتُ بجمعه ودراسته، وقد عزوت النقل والاقتباس إلى مصادره.

اسم الطالب: **نعيم عبدالرزّاق الخطّاب**

التوقيع:

التاريخ:

DECLARATION

Formatted: Right

I hereby declare that this dissertation is the result of my own investigation, except where otherwise stated.

Student's name: name abd elrazeq khatab

Signature:

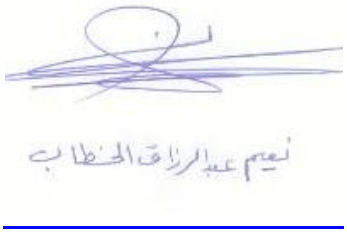

Date:

Formatted: Centered

جامعة المدينة العالمية

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية استخدام الأبحاث العلمية غير المنشورة

حقوق الطبع 2009 © محفوظة لـــ (**نعيم عبدالرزّاق الخطّاب**)

عنوان البحث: " **الثُّنائِيّاتُ الجَماليّةُ في شِعرِ المُعلّقاتِ**

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل أو صورة من دون إذن مكتوب من الباحث إلاّ في الحالات الآتية:

1. يمكن الاقتباس من هذا البحث بشرط العزو إليه.

2. يحق لجامعة المدينة العالمية بماليزيا الإفادة من هذا البحث بشتى الوسائل وذلك لأغراض تعليمية، وليس لأغراض تجارية أو تسويقية.

3. يحق لمكتبة جامعة المدينة العالمية بماليزيا استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكتبات الجامعات، ومراكز البحوث الأخرى.

أكّد هذا الإقرار: **نعيم عبدالرزّاق الخطّاب**

الإهداء

إلى صاحب السنة المطهرة الذي أمرنا الله بالاقتداء به صلى الله عليه وسلم..

ثم إلى من أمرني الله ببرهما وطاعتهما والإحسان إليهما، إلى والديَّ الكريمين ..

ثم إلى كل مسلم يحب سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدافع عنها، ويعمل بها ..

... أهدي هذا العمل .

Formatted: Right

شكروتقدير:

كل الشكر والعرفان لكل من وقف معي وساعدني ، ناصحاً وموجهاً، وخاصة المشرف على بحثي المتواضع الدكتور المحترم أحمد عبدالعاطي جزاه الله عني كل الخير والثناء .

وهديَّتي أبياتٌ من الشِعر:

الــعمرُيمضيفاتعِــظ ْيــاصَــــــــــــاحِ وأجبْنِداءَالعقـــــــلِوالإصـــــلاحِ

واخلـــــعْبعبـــــاءاتِاجلهـــــــالةِكلِّهَـــــــاوالبسْســــــــــوارَالعـــلـــــمِبالتّرواحِ

لاتعتليجبـــــلَالدُّخـــــــــانِ مُعـــــــَـــانِداًوانشُدْمَقامَالعلمِكـــــلَّصَبـــــــــــاحِ

حَطِّمْدِنانَاللَّهـــــوِفيعينِالضُّحى َتملأْجـــرارَالعقـــــلِبالأرَبـــــــــــاحِ

فالربــحُإرجـــــاعُالعــقولِلدينِهـــــَـــــا
بعْــدَالتلذُّذِفيغِــوىالأقـــــــــــداحِ

واحفـــــظْأحاديثَالحبيبِمُحَمـــــــــدٍ
تخضعْلكَالدّنيـــــــابغيرِنـــــــُواح

بالدينِ تمسيالروحُمشـــــلَخمـــــائلٍ مَرَّتْعليهَـــــــاحمـــــائِـــم
الأدواحِ

ماأعذبَالرُّوحَالتيقـــــدْمَسَّـــــــــهـــَـا عَبَـــقُالشّـــــَريعةِمُنْعِـــــشُالأرواحِ

فازوابجنـــــّـــــاتِالنَّعيـــــــــمِصَحـــــَابةٌ حفِظُواكتابَالله
رُغـــــــــمَجـــراحِ

َذلـــــّـــــثْلهُـــــــمدُنيـــــــابكلِّنعيمِهـــــَـــادونَانجذابِنحوهَـــاوصيـــــــــــاحِ

ُخذْماتشتهيتَمـــنالحيـــــــاةِفلنَ ترَىفيالقبرِخِلاًأورفيقَنجـــــــــــاحِ

لاالمـــــالُيغنـــيـــاأُخَـــيُّولاالمنىوَلَسوفَتنسىمِثلَرســـــمِريـــــاحِ

وخُذْالنصيحةَمـــــنبساتينِالهُـــــدىخيـــرُالكـــلامِمُشَعـــــْشَـــــــعَالأدواحِ

واضـــــرعْلربكَفيالليـــــــاليســـــــاجداًقبـــــلَالفِـــــــــراقِوهجـــــــرة
الأرواحِ

فعســـــــــــــىإلهـــيأنْيُمـــنَّبنظـــــــــرةٍ يَشـــــــــتـــفيجَنانـــاً
مكلمَـــــــاًبجـــــــــراحِ

هـــــــــــذاندائـــــــيفاعلمـــــــواأنّيامُرؤْعَـــــــــــرَفَالحقيقةَبعـــــدَنَزفِجراحِ

الإهـــداء:

إلى التي سهرت الليالي الطوال لأجلي.. إلى ينبوع الحنان الصافي..إلى القلب الحنون الرؤوم الذي لا يحمل إلا المحبة والسلام ..إلى بستان حياتي المشرق .. إلى العينين الخضراوين الجميلتين اللتين ما جدت مثيلاً لهما في الآلئ والجمان .. إلى الكريمة العفيفة إلى أمي الحبيبة فاطمة الغالية .

و إلى

والدي الغالي

المقدِّمة:

الحمد لله الذي أكرمنا بأفصح البيان ، وخلد العربية بالقرآن ، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير ،أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ـــ وبعد:

فهذه رحلة شاقة وممتعة صحبت فيها الشعر الجاهلي الفصيح بسحره وجماله ، فنهلت من معين بيانه ، وعظيم ترجمانه ، ولطالما اشتقت للغوص في بحار معانيه لأخرج من لآلئه الثمينة ،ودرره الفريدة ، وحكمه المفيدة ، فرحت أستبين أشعاره وأسبر قصائده لأتعرف قيمه الجمالية ، وأستوضح نظرة هؤلاء القوم تجاه تلك القيم الجمالية ، علني أصل لما يشفي غلة فؤادي ، ويسكت حيرة أفكاري تجاه قلاع من الشعر شامخة راسخة ، وقف جهابذة الأدب أمامها فحاروا ، ونظر إليها أكابر الشعراء فهاموا ، وتأملها عباقرة الفن وفلاسفة العالم فشمروا سواعد البحث وقاموا ، إنها المعلقات المذهبات الجاهلية ، مثوى البراعة والبيان والجلال والجمال .

وإنني ـــ لما ذهبت كما ذهب غيري ووقفت معها كما وقفوا ، وتقربت إليها كي تبوح لي بسر أصحابها ـــ رأيت العجب العجاب ، و رأيتهم في حيرة من أمرهم ، فمنهم من كان ينظر للقبيح جميلاً ، والآخر يجد الجميل قبيحاً ، فما وجدتهم إلا وقد اختلفت وجهات نظرهم تجاه تلك الجمال و القيم الجمالية في صحرائهم الموحشة ، فأحببت أن أقف على حقيقة أمرهم ، ونظرتهم من القيم الجمالية ،لا سيما وأنهم هم أهل الجمال ببيانه وبديعه ، ولا شك أن لكل منهم تبريره حول نظرة رآها أو فكرة آمن بها فطرحها ،فبحثت في أشعارهم ، وحللت مقالهم كي أجلو الحقيقة لي ولكل من تهفو نفسه لمعرفة القيم الجمالية لديهم .فحللت اشعارهم ودرستها ، رابطاً بينها وبين العلم الحديث ، والنظريات الجمالية المحدثة .

مشكلة البحث:

إنَّ مشكلة هذا البحث تتمثل في عدم التحديد الدقيق للقيم الجمالية في المعلقات الجاهلية، التي شغلت العالم الأدبي بأسرهم منذ أقصاه إلى أقصاه، وكذلك عدم وجود تفصيل للكلقيمة من القيم الجمالية، وكذلك سبب اختلاف العراء في الجاهلية، وهل سبب اختلاف هو أن القيمة الجمالية تتحدد بحسب كل عصر من العصور أم يا هل ترى به لمفهوم الجمال يتركل كل امرئ، ويتطور بتطور العصور، وتغير الأجيال؟ .

حدود البحث:

هذا البحث يندرج تحت الأدب والنقد الأدبي، حيث لجأ الباحث إلى عرض هذا الموضوع في حنايا القصيدة الجاهلية، التي تعج بغدق الأدب العربي الأصيل، ومن ثم التوجه نحو النقد لنفتح الباب أمام عشاق الجمال العامة والأدب العربي خاصة، فنوضح أشكال القيم الجمالية في شعر المعلقات، ونصقل بعض قوالبها، ونتعرف أقسامها، ونظر حشواهد الشعراء عليها .

أهمية البحث وأهدافه:

حاول الباحث جاهداً في هذا البحث أن يقسم الثنائيات الجمالية التي طالما بقي الكلام عنها مجرد عموميات وتخمينات خاصة في شعر المعلقات، فقد كان جهد دأب الكاتبين فيها مجرد كلام عام، وفرضيات غير معللة بدليل، حيث لمأ جد في كتاباتهم من رسالة الثنائيات الجمالية وأنواعها في شعر المعلقات، فرأيت أن أترك نموذجاً تطبيقياً عن الثنائيات الجمالية بين الرفض والقبول في شعر المعلقات يكون عوناً لمن يبحث في علم الجمال وقيمها السلبية منها أو الإيجابية، وليبقى النموذج الجاهلي مرآة يستلهم منها الباحث أفكاره، ويدلي بدلوهما يشاء في هذا الباب، كما حاولت رصد الثنائيات الإيجابية والسلبية في شعر المعلقات بشيء من التبيان والتفصيل، وذلك بشكل تطبيقي في شعر المعلقات .

الدراساتالسابقة:

1)ـــالثنائياتالضدية . سمرالديوب

.حيثتحدثتالكاتبةفيالفصلالأولمنالكتابعنجملةمنالثنائياتالضديةمنها :

الفردوالجماعة،والحركةوالثبات،والماضيوالمضارع،والمعنويوالمحسوس،والقدرةوالعجز،والحرك

ة (الشاعر) والسكون (السجن)

،والبهجةوالاكتئاب،واللذةوالألم،التفاؤلوالتشاؤم،السعادةوالشقاء،واللصوصيةوالجهاد،والض

عفوالقوة،علاقةالداخلبالخارج،المخاطبوالغائب ...

2)ـــــجمالياتالشعرالعربي . دراسةفيفلسفةالجمالفيالوعيالشعريالجاهلي . د.هلالالجهاد.

حيثيتكونالكتابمنستةفصولوركزفلسفتهاالجماليةفيالفصولالآتية :

الفصل الثاني : التأويل الجمالي للنوع الشعري :

أولاً ــ نظرية الأنواع الشعرية .

ثانياً : الزمان الجمالي منطلقاً لتأويل النوع الشعري العربي .

ثالثاً : الوعي الشعري الجاهلي للزمان الجاهلي .

رابعاً : الفلسفة الجمالية للنوع الشعري العربي .

الفصل الثالث : جماليات اللغة الشعرية .

3) ـــــالحبوالجمالعندالعرب . أحمدتيموربان . دارالكتابالعربي 1982 م

حيثذكرالكتابموضوعاالجمالمرفقاًمعالحبفيحياةالجاهليين،حيثوردفيالبابالخامسمنالكتاببعنوان (الحبوالجمال) ص 11،وفيهفصولحبامتداحالنساء،ووصفجمالهنعلىاختلافيألوانالوصفوالتشبيه،وأسماءالنساء .

منهجالبحث:المنهجالتحليلي

خطةالبحث:

الخطةقابلةللتعديلحسبمقتضياتالبحث،ويحاولالباحثقدرالإمكانالالتزامبهذهالخطةفيكتابةالبحث وهيعلىالنحوالتالي:

هيكلالبحث:

الفصلالأول: الثنائياتالإيجابيّة .

المبحثالأوّل:القيمالجماليةالحسيةوالمعنويةلدىشعراءالمعلقات

المبحثالثاني : "البطل،الكريم،الشّرف،المرأةالإيجابيّة".

المبحثالثالث : "الجليل،الجميل،السّامي،النّبيل".

الفصلالثاني:الثنائياتالسّلبيّة

المبحثالأول : "القبيح،الوضيع،الهزليّ".

المبحثالثاني : "الرّذيل،نموذجالمرأةالسّلبيّة".

الفصلالثالث : الثنائياتالضديةالجمالية .

المبحثالأول : ثنائيةالنافعوالضار.

المبحثالثاني: ثنائيةالقبيحوالجميل.

المبحثالرابع :ثنائيةالممتعوالمؤلم

المبحثالخامس : ثنائيةالكريموالبخيل

الخاتمة.

المصادروالمراجع.

الفهارس.

التّمهيد:

لم يكن العصر الجاهلي عصر انحطاط كما يفهم من لفظة (الجاهلي) ، لكنَّه على العكس تماماً فقد كان عصر حداثة و تقدم في ميادين اللغة والبلاغة والخطابة ، والشعر ، فكل قديم حديث في عصره .وإن هذه البراعة لدى شعراء العصر الجاهلي عامة والمعلقات خاصة أطلقت للجمال عنانه ، فصار الجمال مرتبطاً بالعهد القديم لدى كثير من النقاد ورمزه المعلقات بما حوت من فنون الجمال الكثير الكثير ، فصرنا نرى صوراً مختلفة للفنون والجمال تختلف لدى كل واحد منهم ونرى حالات للجمال مختلفة رغم أنهم من منشأ واحد ومنبت واحد ويعيشون على أرض واحدة ويتحدثون اللغة الواحدة ، وهذا لا عجب فلكل أديب شخصيته التي تجعل منه أديباً بعينه ، له طريقته ونظرته في الحياة وله مقياسه الخاص في الجمال .

ولقد بدا لي واضحاً أن الأحكام النقدية والمقاييس النقدية التي خلفها لنا القدماء تعرضت لمؤثرات ذوقية وعقلية ، وعلى أساس تلك الحقيقة وهذا الاختلاف أحببت أن أقف على حقيقة هذا الجمال لدى هؤلاء الفحول لأتعرف مقاييس الجمال لديهم وأشكاله وفنونه ، ولا أزعم أنه البحث الأول في هذا المجال ، لكنني أراه البحث المكمل لحقيقة الجمال الناقصة في المعلقات الجاهلية التي لما تأخذ حقها من البحث في الجانب الجمالي بَعْدُ .

وتُعد المعلقات (السبع أو التسع أو العشر) نماذج فريدة للقصيدة الجاهلية، فلا تكاد واحدة منها تشبه أختها، ومع ذلك، وربما لذلك السبب نفسه، اختارها القدماء ممثلة للشعر الجاهلي بأطيافه وأنماطه الفنية المتعددة. من هنا احتفظت المعلقات بقيمتها الفنية عبر التاريخ الأدبي وشرحها كثيرون من الشراح وحللها كثير من الدارسين المعاصرين للأدب العربي. وقد لاحظت الباحثة أن الشواهد الشعرية في شروح المعلقات القديمة موضوع يستحق الدراسة من منظور نقدي معاصر، لما يمكن أن تكشف عنه من أبعاد تأويلية لجماليات اللغة الفنية التي نبعت منها.(1)

---

(1)ــ عبداللطيف . نهىنفؤاد. جمالياتتلقيلغةالشعرالشواهدالشعريةفيشروحالمعلقات (ابنالأنباري – النحاس – الزوزني – التبريزي)

* معلوماتالنشر: مكتبةالآدابالقاهرة، 2010م، 254ص

أولاً : مفهوم الجمال العربي :

إن ما نقصده بمفهوم الجمال العربي هو مفهوم للجمال يقوم على أسس عربية مستمدة من عناصر ، وأسس الواقع الاجتماعي العربي ، وتطوره التاريخي ، وإن مهمة علم الجمال ليست وضع القوانين للعمل الفني أو الوصاية عليه ، وإنما بالدرجة الأولى دراسة انعكاسات الواقع الاجتماعي ، وتطوراته في الفن ، ورصد الوعي الاجتماعي ، وأسسه الجمالية من خلال الأعمال الفنية ، والعمل على تطوير ذلك الوعي ، وإشاعته بين أفراد المجتمع ، ضمن عملية إغناء الشخصية الإنسانية ، وتحسين علاقاتها مع الواقع . (1)

وعلينا ــ إذا أردنا إيجاد مفهوم جمال عربي حقيقي ـــــ أن نعود إلى التراث لندرس فيه النظرات الجمالية . (2) ، وخاصة التراث الشعري في العصر الجاهلي الغني بها ، بشكل يرسخ تلك النظرات الجمالية بشكل تطبيقي ملموس ، ويقدم لنا علماً ، وأدلة جمالية من خير التراث العربي وأروعه ، من الشعر الذي شهد العالم بسحر بيانه ، وعظيم جماله ، من الشعر العربي القديم ، لنجد الركيزة التي ننطلق منها نحو القيم الجمالية المؤصلة في تراثنا العربي القديم .

---

(1)ــ د. الصديق .حسين . مقدمة في نظرية الأدب العربي الإسلامي . مديرية الكتب والمطبوعات 1998م.ص90

(2) .المصدر نفسه . ص 91

أ) ــ **علم الجمال** :

هو علم يشمل عدداً من المجالات : الفلسفية ، التحليل النفسي ، علم اجتماع الفن . ولقد استخدم العرب المعاصرون مصطلح علم الجمال ترجمة للأصل اللاتيني ، ولقد انتشر هذا المصطلح بين المهتمين بالفنون خاصة ، إلا أن مفهومه لا يزال غامضاً في أذهان الكثيرين ممن يستخدمونه ، أو يرددونه ، منذ أن بهرتهم هذه الكلمة بإيحاءاتها السحرية ، ولقد اعتدنا أن نقول أو نسمع عبارات كثيرة مثل : رجل جميل ، وامرأة جميلة ، وطبيعة جميلة .

ويبدو أن أغلب الناس يعتقد ، وبشكل غير واضح أن علم الجمال يقصر اهتمامه على جمال الجسد الأنثوي ، على حين أن آخرين يجعلون هذا العلم يهتم بجمال المرأة والرجل معاً . والواقع أن هذا التصور لمفهوم علم الجمال هو تصور بسيط جداً ، لا يستطيع أن يتخيل أن علم الجمال يرتفع إلى مصاف القيم المطلقة : الحق والخير والجمال ، وانه بذلك يصبح من أكثر العلوم تعقيداً وصعوبة ، فالباحث فيه يجب أن يكون على معرفة ممتازة بعدد من العلوم الإنسانية ، التي يستفيد من نتائجها في دراسة القوانين الجمالية ، وعلاقتها بالمبدع والمتلقي ، وعلاقة جميع هذه الأطراف بالأطر الثقافية والاجتماعية والتاريخية . (1) كما يعد الكرم من أبرز الأسس الجمالية التي يعتمد عليها الجاهلي في علاقته بالواقع وبالآخرين . (2)

---

(1) ــ المرجع السابق ص 93 ، 94

(2) الصديق .حسين . فلسفة الجمال ومسائل الفن عند أبي حيان التوحيدي .ط1 .2003 .دار النشر : دار االقلم العربي .ص26

وعندما نقول علم الجمال فليس المقصود ما هو جميل فقط ، وإنما ما هو غير جميل أيضاً . فالجمال يقع على الطرف النقيض من للقبح ، ومع ذلك فإن الفن قد يبرز لنا ما هو قبيح بصورة جميلة ليؤثر فينا ، ويجعلنا ننفر منه . فقد نجد قصيدة رائعة يصور فيها الشاعر البخل أو الغدر واللؤم . ولذلك فإن الجمال يتداخل مع القبح ، والشيء إنما يظهر بنقيضه . وهذا يعني أن علم الجمال لا يهتم بما هو جميل أوقبيح فقط ، وإنما يتسع ليشمل كل المواقف الإنسانية ، التي يتخذها الإنسان من ظواهر الكون والعالم والحياة الاجتماعية ،ويعبر عنها في نشاطات معينة ، واساليب خاصة . (1)

ومن هنا فالقيم الجمالية ليس شرطاً أن ترتبط بالجمال والجميل ، بل ترتبط بظروف المرء والبيئة الطبيعية التي يعيش ، والعادات الاجتماعية التي يتأثر بها ، فتختلف نظرته عن نظرة أقرانه حتى ولو كانوا وعاشوا في المجتمع الواحد .

1)ـــ د. الصديق .حسين . مقدمة في نظرية الأدب العربي الإسلامي . مديرية الكتب والمطبوعات 1998م.ص94

ب) ــ الجمالي :

إن الجمالي يتجلى في كل مظاهر الحياة . وهو عند العرب المسلمين مرتبط بالدين والفلسفة . والمسلم يستخدم الإبداع الجمالي سعياً وراء وعي ذاته ، واكتشاف جوهر وجوده . فهو يتأمل الموجودات ، وتأمله هذا يقود إلى اكتشاف جوهر الموجودات وهو اكتشاف يهدف إلى تحرير قدراته ، وإطلاق جمال الخلق الروحي والمادي فيه.

والعمل الفني وعملية الإبداع الجمالي لا اعتبار لهما على مستوى الفرد المبدع ، وإنما العمل الفني هو الهدف ، فالفنانون غير معروفين غالباً ، فغالباً يستشهد بالأبيات الشعرية الجميلة من غير اهتمام بصاحبها . ونتائج الإبداع الفني تساعد المتلقي على اكتشاف التناسق والتناغم القائمين في الكون والوجود عموماً . (1)

فالجمالي هدفه أسمى من المبدع أوالمتلقي، وما المبدع إلا وسيلة لإبراز العمل الفني الذي تصنعه يد الإنسان الفنان ، وإن من يصنع العمل الفني ومن يتلقاه غايته إدراك وإظهار جمال الكون ، وما فيه من تناغم وتناسق عجيبين .

---

(1)ـــ نفس المرجع . ص 95 ، 96

ج) ـــ الخَلْقُ الجمالي :

إن عملية الخلق الجمالي ليست بالأمر السهل ، ولا يستطيع الإنسان العادي أن يقوم بها ، بل تحتاج لعقل مبدع ، وإنسان يمتلك أدوات الإبداع مثل الذوق الرفيع ، والموهبة الشعرية ، والإحساس المرهف ، والذكاء الخارق ، والقدرة السريعة على المحاكمة العقلية . والخلق الجمالي لابد له من موضوع ، وهذا الموضوع ينبغي أن يتملك شغاف قلب المبدع كي يستطيع الإبداع ، وخلق الجديد ، الذي يبهر المتلقي ، ويثبت على مر العصور والأزمان .

والفن ليس وصفاً ، أو تعبيراً عن حالات شعورية بقدر ما هو خلق تتوافر له شرائط أساسية أهمها توافر العقل الخالق عند الفنان ونضوجه ، ووعيه بالتقاليد الفنية التي انحدرت إليه من الماضي ، والخلق الفني عملية امتزاج كامل بين الذات والموضوع .(1)

وإن هذا الامتزاج بين الذات والموضوع امتزاج المؤثر والمتأثر ، حيث إن ذات المبدع تبقى على الحياد ، لكنها تسقط تأثيرها على الموضوع وحسب ، فمثلاً إذا نظرنا إلى الشعر الجاهلي كموضوع ، فإننا نجد أن ذات الشاعر الجاهلي في شعره ظاهرة من خلال تأثرها في القصيدة الجاهلية ، تأثيراً يجعلنا نتعرف صفات الشاعر ، ونظرته الفنية ، وآراءه الجمالية ... كل ذلك من خلال هذا الامتزاج الخلاق الإيجابي بين الذات والموضوع .

---

(1)ـــــ العشماوي . محمد زكي . فلسفة الجمال في الفكر المعاصر . دار النهضة العربية للنشر . بيروت . 1980 م . ص 52

ثانياً ـــــ القيم الجمالية :

تمثل القيمة الجمالية جزءاً مهماً في علم الجمال الشعري خاصة ، لما تمثله من الأثر في الجنس البشري ، ولما تحمله من معايير تقيس نظرة كل شاعر ، وهدفه في الحياة ، والعناصر المؤثرة في حياته من مثل الطبيعة والعادات الاجتماعية المفروضة علية ، والقناعات التي يؤمن بها .

والقيمة الجمالية تمثل الوجه الأكثر عمقاً من تأويل الجمال الشعري بوصفه وجوداً لذاته لأنها غاية الإنسان العربي الجمالي بنية ً وتكويناً .والواقع أن كل بحث في الجمال يرتبط جوهرياً بفكرة القيمة ، لأن الجمال أصلاً قيمة من القيم الكلية الثلاث مع الحق والخير ، وإن الوجود للقيمة في حياة العربي كان يعني نوعاً من البطولة المعرفية ، إذ يتطلب كفاءة خاصة تشتق من إبداعية الوعي وفاعليته وإيجابيته .(1)

ولأجل هذا يتسابق العربي الشاعر الفحل لإثبات براعته في إظهار تلك القيم الجمالية

محاولاً التفوق فيها على غيره من الشعراء البارزين الفحول ، والمهم في الموضوع هو أن القيمة الجمالية تتنوع لدى الشاعر الواحد بتغير الظروف النفسية لديه من جهة والمحيطة به من جهة أخرى ، والغاية لدية تنوع الوسيلة ، وإحدى وسائله الشعر .

---

(1)ـــ الجهاد . هلال . جماليات الشعر العربي . دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي . مركز دراسات الوحدة العربية .سلسلة أطروحات الدكتوراة (65). ص 35

الفصل الأوّل:(الثنائيّات الجماليّة الإيجابيّة)

المبحث الأوّل:(القيم الجمالية الحسية والمعنوية لدى شعراء المعلقات العشر)

إن مطالعة دقيقة في شعر المعلقات تثبت لنا أن شعراء المعلقات وفحولهم يختلفون في نظرهم للجمال ، كما تختلف طرق إبداعهم وتعبيراهم عن هذا الجمال ، إذ كلٌ له طريقته ودوافعه وأسبابه فيما يرى أو يقول ، ولكن هؤلاء الشعراء بشر كغيرهم ،فقد أدركوا فكرة الجمال ، فلما عرفوا منبع الجمال ، وفهموا تأثيره في النفس أبدعوا، ونحن لم يصلنا من إبداعاهم سوى نتاجهم الأدبي ، فرأيناه شعراً رائعاً ، لكن جمالهم الفني (إبداعهم) فاق جمال موجودات الطبيعة ـــ ولا أقول الطبيعة ـــ لأن هذا الجمال الفني خارج من أرواحهم ،وما يكون من نتاج الروح أجمل مما هو خارج عنها ، ويبقى فهمهم لموجودات الطبيعة وتأثرهم بها وتفاعلهم معها بحد ذاته إبداع . والجمال لا يكون جميلاً إلا بمقدارما يصدر عن الروح .(1)

1ـــ هيغل . المدخل إلى علم الجمال . فكرة الجمال . دار النهضة .بيروت. ط 1 . 1978 . ص 9

وإن المعلقات الجاهلية بما فيها من جمال يدل على أن الإبداع قد أنتجه وعي الشاعر الجاهلي للجمال ، فنرى مثلاً ــ لا كما زعم مؤسس علم الجمال الكسندر بومغارتن (1714) الذي عده عِلماً للإدراك الحسي فحسب . (1) ــ أن حاجة الشاعر الجاهلي للمعنى جعله ينطق بأحلى الصور وأرع الخيال ، ومن ذلك قول امرئ القيس في مشهد من مشاهد لهوه وتذكره المحبوبة:

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ بِسَقْطِ اللِّوى بينَ الدَّخولِ فحومَلِ

وقوله :

ترى بعرَ الأرآمِ في عرصاتِها وقيعانِهـــا كأَنَّهُ حَبُّ فُلفُـــلِ

كأني غداةَ البينِ يومَ تحمَّلوا لَدَى سَمُراتِ الحيِّ ناقِفُ حَنْظَلِ (2)

فالشاعرهنا أبدع أيما إبداع عندما جعل من نفسه شخصين يحاورهما ويشركهما معاناته وشديد شوقه ، وكذلك نراه قد اختار البكاء ظاهراً ، لكنه في حقيقة الأمر طلب موقف الحنين للماضي وذكراه الحلوة العذبة ، إنها النفس البشرية لا تفتأ تتوقف عن الحنين للذكريات الجميلة مهما حاولت مرارة الحياة دفن تلك الذكريات ، لذا فإن وعي الشاعر الجاهلي للموقف ،وشدة حاجته للمحبوبة جعله يبدع أيما إبداع فيما يقول من كلام جميل ، ومعنى رفيع . و امرؤ القيس لم يكتف بذلك بل راح يقدم الحبيب على المنزل ، علماً أن الشاعر يقبع في جنبات المنزل ، كل ذلك بسبب الشغف الكبير للمحبوبة لا للمنزل وأحجاره .

---

1 ــ هلال الجهاد . جماليات الشعر العربي في الوعي الشعري الجاهلي . ط 1 . بيروت 2007 م . ص 11

2 ــ الزوزني . شرح المعلقات العشر . ص 30 ــ 31 .

ويجب أن نعلم أن الشاعر الجاهلي امرأ القيس هنا قد أراد اللذة والمتعة من الطرف الآخر وليس شخصه وذاته ، إذ الحاجة لهذه اللذة جعلته يبدع ، وهذه الحاجة للمتعة ظاهرة لديه عندما راح ينقف حبات الحنظل لأن النقف للحَب دليل فراغ وسأم وصلت إليه نفس الشاعر ليسلي نفسه ويروح عنها . وإن الشاعر لا يحتاج الشخص الآخر بل المتعة وحسب . (1)

وإن أصحاب المعلقات هم فحول الشعر ونوابغه ، وإن ما كتبوه من شعر قوي السبك ، رقيق الكلمات ، عذب المعنى ، عظيم الخيال دونما تكلف يعد صورة متقدمة عن العصر الجاهلي ، عصر اللغة والبيان ، لذلك فإن نظرة كل واحد منهم للجمال تختلف بحسب تأملاته واحتياجاته ورؤاه تجاه هذا الجميل ، فكل منهم راح يقدم لنا نموذجاً للجمال مختلفاً عن غيره ، وطريقة للإبداع ما سلكها نظراؤه من قبل ، فمثلما شاهدنا امرأ القيس نظر للجمال بحسب حاجته للمتعة فإننا نرى عمرو بن كلثوم شاهد الجمال في منظور السيادة والمفاخرة كونه من سادة القوم وعليتهم ، وبذلك يكون قد خالف امرأ القيس الذي ينتمي لنفس الشرف والسيادة فأبوه أيضاً ملك كندة وسيدها .

---

(1) ــ بارت ، رولان، لذة النص . ط1 ، 1992 ، باريس . ص25 .

وإذا تأملنا الشاعر عمرو بن كلثوم في قوله :

مَلأنا البَرَّ حتَّى ضاقَ عَنَّـــــا وظَهْرَ البحرِ نملؤهُ سَـــفيناً

لنا الدنيا ومَن أَضْحَى عليها ونَبطِشُ حينَ نَبْطِشُ قادرينا

إذاْ بَلغَ الفِطـــامَ لنـــا صَبِيٌّ تَخِرُّ لهُ الجبابِرُ ســـــاجدينا (1)

نرى أن إبداع الشاعرعمرو بن كلثوم لهذه الصورة الجمالية جاء بدافع (الأنا)المتضخمة لديه ، فهو لايرى غيره من الناس بشراً ، بل عبيداً يجب أن يسجدوا له ولجميع قومه وكل ذريتهم ، كما نراه يستخدم أثناء تعبيره عن جمالية قيمة الشرف والسيادة أسلوب التقديم والتأخير في قوله : (لنا الدنيا) ، وأسلوب الاشتغال :(ظهرَ البحر نملؤه سفيناً) . فهو يرى أن الدنيا من حقه وحق قومه فقط من بين الخلائق كلهم ، كما استخدم أسلوب الشرط (إذا) ليؤكد حتمية واحدة وحقيقة ثابتة مفادها أن كل من ينتمي لقومه حتى المواليد الجدد هم سادة للناس جميعهم ، حتى جبابرة الأرض وأقوياؤها ، فلا سطوة فوق سطوة القبيلة في نفس هذا الشاعر الجاهلي ، وكل شيء في حياته هي القبيلة حتى لو رأيناه يتحدث في معلقته عن قتل الملك عمرو بن هند والحبيبة والخمر والتهديد ، فكل هذه الأمور سببها القبيلة والفخر بها والدفاع عنها ، فهو يشرب الخمر كي تنسيه همومه لقبيلته وحوائجه لها فنراه يقول :

تجورُ بذي اللُّبانةِ عن هواه إذا ما ذاقَها حتَّى يلينا (2)

وكذلك فقد قَتل الملكَ انتصاراً للقبيلة ، وهدد خصومه لجعل جانب قبيلته مهاباً . إنه الحب الجارف الذي جعل شاعرنا هذا يوجه موهبته وفنه وإبداعه لخدمة قبيلته فحسب ،

---

(1)ـــ مرجع سابق . ص 197 .

(2) ــ المرجع السابق . ص 201 .

ولا عجب في ذلك فهو ممن أرضعتهم القبيلة من لبانها فخرجوا أبناء بررة التزموا الولاء المطلق لها ، وأما مفهوم الجمال عند الشاعر الفارس عنترة بن شداد فمختلف عن سابقيه كثيراً ، فنظرة عنترة للجمال اختلفت بسبب ظروف القهر التي عاشها في بيته أولاً وفي قبيلته ثانياً ، هذا البيت الذي أنكره فيه حتى أبوه وعمه ، وتلك القبيلة التي نفته وأنكرته ، ولم تعترف به كرجل مثل الرجال بسبب عيب ـــــ وهو ليس بعيب في نظر عنترة ـــــ هو سواد لونه . من هنا راح عنترة يواجه جميع من حوله ليثبت لهم أن الألوان لا تصنع الرجال ، فنراه نظر إلى الجمال نظرة سبقت عصره ، فعنترة عد الجمال هو جمال الروح والخلق ، جمال القوة ومكام الأخلاق ، فكان إبداعه مميزاً لأنه يملك روحاً قارعت جميع من حوله من أعداء بيته وقبيلته قبل أعدائه الفعليين من خصومه في ميادين النزال والقتال . وهذه نظرة في الجمال جديدة ،فالخلق الرفيع الذي اتسم به الرجل جعل قبح اللون الذي فيه جمالاً لاينازعه جمال في عصره قط . ومن ذلك قوله :

أَغْشَـــى فتاةَ الحيِّ عِندَ حَليلِهـــا وإذا غزا بالجيشِ لا أغشاها

وأَغُضُّ طرفي ما بَدَتْ لي جارتي حتى يواري جارتي مَأْواها .(1)

إذاً الإبداع حالة يصنعها الجمال ، وكلما كان الجمال قوياً كان الإبداع أقوى وأعظم.

وعنترة بن شداد العبسي مزج الجمال عنده بالروح حيث نظر إلى قبح ظلم محبوبته عبلة على أنه الجمال بعينه ، إنه لا يرى الأشكال بل يرقب الجوهر الإنساني ، ويرى الضمير الحي وليس سواه رغم قسوته وجلده مع عدوه ، وصدق من يقول : (الحب والجمال عند العرب لهما مقام أسنى ، ومنزلة أعظم) .(2) _____

(1) ــ المرجع السابق ص229.

(2) ــ بان ، أحمد تيمور، الحب والجمال عند العرب ، دار الكاتب العربي ، 1982 ، ص6

ويؤكد ما سبق قولُ عنترة لعبلة ابنة عمه :

يادارَ عبلةَ بالجواءِ تَكَلَّمي وعِمي صَبَاحاً دارَ عبلةَ واسلمي (1)

ولقد أبدع عنترةُ في اختيار كلماته المعبرة عن جمال إحساسه ورقي طلبه عندما استخدم لغة الإشارات والإيحاءات في قوله (يادار عبلة)، و(عمي صباحاً) . فالخطاب هنا لعبلة محبوبته ، لكن الشاعر الفارس أبى أن يصرح في الخطاب خوفاً على نظرة الحب والجمال لديه ، واحتراماً للقيم والمبادئ التي تربى عليها وآمن بها إيماناً عجيباً .

وكذلك إذا تأملنا قول عنترة :

فوقفْتُ فيها ناقتي وكأنَّها فَدْنٌ لِأقضيَ حاجةَ المُتلوِمِ

وَتَحُلُّ عَبلةُ بالجِواءِ وأهلُنا بالحَزْنِ فالصمانِ فالمتثَلَّمِ

حُيِيتَ مِنْ طَلَلٍ تَقادَمَ عهدُه أَقْوى وأقفرَ بعدَ أمِّ الهيثمِ (2)

و الشاعر ليس ببعيد عن علم الجمال عندما صور بقايا ديار المحبوبة بقصر عظيم ، وجد فيه راحة نفسه المعذبة وسلوانه الضائع ، إذ أسبغ على المكان ما يكنه من عواطف حب وشوق جاشت بها نفسه ، وذكريات جميلة نَعِمَ بها قلبه في أيام قد خلت ، وليس كما يزعم الزوزني بأن الناقة هي القصر ،لأن معرض الحديث هنا عن الدار وليس عن الناقة ، إذ دار المحبوبة مثل القصر ، ولا فائدة جمالية من وصف الناقة بالقصر، بل الفائدة الجمالية تتمثل في كون بقايا الدار قصراً يريح النفس من وعثاء السفر وتعب الفؤاد،وأرق التفكير

---

(1) ــ مرجع سابق ، 235.

(2) ــ المرجع السابق .

وتتوالى سلسلة الجمال وعبقرية الإبداع لدى أصحاب المعلقات لتصل بنا إلى مظهر آخر من مظاهر الجمال في المعلقات ، وهو جمالية الخير والسِلم ، وظهرت هذه في قول زهير بن أبي سلمى :

يميناً لَنِعمَ السَّـــــيدان وُجدتُما على كلِّ حالٍ من سحيلٍ وَمُبرَمِ

تداركتُمـــــــا عَبْسَاً وذبيانَ بَعدَما تفانوا ودقوا بينَهم عِطْرَ مَنْشِمِ

وَقَد قُلتُما : إنْ نُدرِك السِلمَ واسعاً بمالٍ ومعروفٍ مِنَ القَولِ نَسلَمِ.(1)

فالقيمة الجمالية المنشودة هنا هي الخير والسِلم ، وليس الأشخاص حتى لو بدا هذا ظاهرياً ، وهذا ما يسمى بالتفضيل الجمالي . (2)

وذِكْرُ الشاعر للسيدين الكريمين هو بحد ذاته إثبات للقيمة الجمالية التي أرادها الشاعر ، فالخير والسِلم قيمتان جماليتان تحتاجان لدليل يدل عليهما ، وذكر الفعل (تفانوا) الذي يقود للفناء يعد إشارة خفية من قبل الشاعر لإظهار الفائدة الجمالية من الخير والسِلم ، فهما وحدهما يلغيانه ويذهبانه . وبهذا الإبداع الجمالي استطاع الشاعر إبراز قيمة جمالية بنفي ضدها .

---

(1)ــ الزوزني ، الحسين بن أحمد ،شرح المعلقاتت السبع ، 1993 م ، معلقة زهير بن أبي سلمى . ص 75ــ 76

(2)ــ الشناوي ، أمنية إبراهيم . التفضيل الجمالي . ص 5 ــ 8 .

وإن الإحساس بالجمال أمر فطري ، أصيل في جبلة الإنسان ، فالإعجاب به دائم ، والميل إليه طبيعة في النفس ، تهفو إليه حيث وجد ، وتشتاقه إذا غاب وفقد .(1)، وبهذا المعنى فإننا لا نتعجب إذا طالعنا الجمال في المعلقات ، فأصحابها هم أهل الفطرة ، وعندما يأتي الأعشى في مطلع معلقته فيقول :

ودِّعْ هريرةَ إنَّ الركبَ مُرْتحِلُوهــَلْ تُطيقُ وداعــاً أيُّهــا الرجــلُ

غَرَّاءُ فرعاءُ مَصْقولٌ عوارضُها تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوَحِلُ

كأنَّ مِشيتها مِن بيتِ جارتِها مَرُّالسَّحابةِ لا ريثٌ ولا عَجَــلُ

ليسَتْ كَمَن يكرَهُ الجيرانُ طَلعَتها ولا تَراها لِسِــرِ الجارِ تَختَتِلُ

يكادُ يصرعُها ــ لولا تَشَدُّدُها إذا تقومُ إلى جاراتِها الكســلُ

إذا تقومُ يضوعُ المِسكُ أَصْورَةً والزنبقُ الوَرْدُ مِن أردانِها شَــــمِلُ (2)

نشهد في قوله الإبداع الجمالي بأدق صوره ، وكأنيبهذا الشاعر قد غلبته الخمرة ، فجاءت نظرته بالجميل والجمال حسية مادية كما الخمرة ، فأجاد وأبدع في تصوير المادي أيما إبداع

---

(1) ــ ابن تيمية ،أحمد بن عبدالحليم، الجمال ،فضله ،حقيقته، أقسامه ،ط 1 1413 هــ . دار الشريف للنشر والتوزيع . ص5

(2) ــ الزوزني ، الحسين بن أحمد ،شرح المعلقات العشر،معلقة الأعشى الأكبر ، ص 314 ــ 315.

. وتقسم الصورة الجمالية الحسية لديه إلى أقسام عدة أهمها:

1ــ الشكل (الصورة الخارجية للجميل) : فهريرة شغفته حباً لدرجة الهيام ،ولا أدري هل الحب أم الخمرة من أوصل الشاعرالماجن لهذه الحال ؟ ــفصوَّرَ من نفسه ــ كما فعل امرؤ القيس ــ شخصاً يحدثه ، ليثبت أوصاف المحبوبة الحسية ، وكل ظنه أن مشاركتة لشخص آخر فيما يقول إثبات لوصف محبوبته ــ لا شك ــ أقوى ؟؟..

ومن الأوصاف الحسية لهريرة لون بشرتها البيضاء ، وشعرها الطويل ، وأسنانها المصقولة بإبداع ماهر . (1)

2ــ الحركة : والحركة دلالة جمالية تضفي على المحبوبة فائدة جمالية هي الغنج والدلال والسكينة ، إذ في الحركة إظهار للمفاتن المخبوءة المكنونة ، وقد أكد الشاعر بط ء الحركة لغاية جمالية حسية صارخة ، و أثبت هذا المقصود عندما شبه مشية هريرة بمشية رقيق القدمين الموحول الخائف من التعثر والسقوط ، كما إن اختيار الشاعرللمشبه به (السحابة) فيه دلالة رمزية للخير ، وعلو المنزلة في قلبه كون السحابة في قبة السماء عالية ، كما تأتي بالخير على أهل الأرض .

3 ــ الرائحة : والرائحة العطرة الطيبة مُكَمِلٌ من مُكملات الحسن الجمال

وفي قول الشاعر (إذا تقوم يضوع المسك) فيه إشارة إلى أن هريرة معطرة على الدوام حتى وإن كانت جالسة ، وفي هذا التركيب شيءٌ غير اعتيادي.

---

(1) ــ المرجع السابق . ص 314

وهذا يؤكد أن الجمال عنصر مقصود في هذا الكون ، وأن صنعة الصانع فيه بديعة التكوين ، جميلة التنسيق ، وأن الجمال فيه فطرة عميقة لا عرض سطحي ، و نظرة في السماء كافية لرؤية هذه الحقيقة ، وهذه الزينة . (1)

كما ننتقل لنشاهد النابغة الذبياني ونتعرف نظرته الجمالية وصور إبداعه ، وهو النموذج المنفرد عن الطابع البدوي .يقول النابغة الذبياني :

يا دارَ ميَّةَ بالعلياءِ فالـــــسَّنَدِ أَقْوَتْ وطالَ عليها سالِفُ الأَمَدِ

وقفتُ فيها أصيلاً كي أسائِلَها عَيَّتْ جواباً وما بالربعِ مِنْ أَحَدِ

إلاَّ الأوارِيَّ لأياً ما أبينُهـــــــا والنُؤيُ كالحوضِ بالَمظْلومَةِ الجَلَدِ

أضحَتْ خَلاءً وأضحَى أهلُها احتَمَلوا أَخْنَى عليها الذي أخنى على لُبَدِ (2)

فالصورة الفنية جاءت في البيت الأول لفائدة جمالية هي إعلاء المكانة ، بدلالة (العلياء) ، وكأني بالشاعر يقف أمام النعمان بن المنذر ،في بلاط قصره ، فخرجت كلمة العلياء فطرة دونما قصد ، وقوله : (يا دار ميَّة) خطاب معين مقصود بذاته أراد له إنزال هذه المكانة العالية .صحيح هو سلك مسلك أهل البادية من حيث الوقوف على الطلل وغيره من منظومة القصيدة الجاهلية ، إلا أن الرجل جبل على حياة الترف كثيراً ، وإذا نظرنا إلى قوله : وقفت فيها أصيلاً . نجد حياة التحضر والترف واضحة ..

---

(1) ــ ابن تيمية ،مرجع سابق . ص 5

(2) ــ الزوزني ،شرح المعلقات العشر، مرجع سابق . ص 291 ــ 292 .

، فالشاعر اختار وقت الأصيل لا على عادة الشعراء الجاهليين الذين اختاروا وقت الفجر، فالوقوف على الأطلال وقته الفجر،لأن الرحلة تنطلق صباحاً ، لكن شاعرنا هذا قد اختار وقت الأصيل قبيل غروب الشمس وذلك لأن الحرارة معتدلة وقد تعوَّد على عدم القسوة والحرارة المؤلمة .

إن هذه الإسقاطات في لغته كشفت لنا بلا شك إضاءات حول نظرته الجمالية وما أثر فيها من الظروف المحيطة . لكن يبقى في كل إنسان تعرفة إنسان لا تعرفه . (1)

ولا تخفى على أحد براعة النابغة الذبياني ، وجمال أسلوبه ، حيث حول ناقته التي يرتحل عليها ثوراً وحشياً تطارده الكلاب ، وتتمثل القيمة الجمالية في كون الشاعر جعل المؤنث مذكراً ، فجعل الناقة الأنثى ثوراً ذكراً ، للدلالة على القوة والجلد ـــــ والثور معروف بهذه الصفةـــــ فناقة الشاعر تتحمل السفر الطويل ، لكنها لا تتحمل هجمات الوحوش المفترسة ، لذلك أكسبها الشاعر صفة القوة ، وهذا ـــــ لعمري ـــــ إبداع وجمال لا ينفصلان .

إذا النابغة رغم عيشه في القصور لم ينس حضارة البادية العظيمة ، لذلك فقد قيل عن شعر النابغة :

" إن شئت قلت : ليس بشعر مؤلف ، من تأنيقه ولينه ، وإن شئت قلت : صخرة لو رُديت بها الجبال لأزالتها " . (2)

---

(1) ـــ الرافعي، مصطفى صادق، رسائل الأحزان في فلسفة الجمال والحب،مصر،مطبعة الهلال 1924. ص 25.

(2) ـــبنت الشاطئ، عائشة عبدالرحمن، قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر ،ط 2 ، دار المعارف 1967 م . ص 23 ـــ 24 .

إذاً هذه المعلقات سلة من الزهور الرائعة الجمال البديعة التصنيع ، وكلما تنقلنا في بساتين المعلقات نرى صور الجمال مصفدة بين الشطور والكلمات ، فهذا الشاعر عبيد بن الأبرص فحل آخر من فحول المعلقات له نظرته الجمالية التي تميزه عن غيره ، فتجربته الجمالية مزجت بتجربته الحياتية ــ وصرنا نرى هذا التأثير في إبداعاته وأشعاره ـــــ تجربة الحياة القاسية ، حيث عمل راعياً للغنم ـــــ والكل يعلم ما لرعاية الغنم من خير عميم ، وتربية للنفس ، فهي تعود صاحبها على التأمل والصبر والحكمة، وحسن مسايسة الآخرين ـــــ وكل الأنبياء رعوا الغنم ، كما ورد في حديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " ما بعث الله نبياً إلا ورعى الغنم ، فقال أصحابه : وأنت . فقال : نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة " (1) ، وقد أورثته هذه المهنة رقة الإحساس والشعور الجميل ، كما أورثته التعلق بالحيوان ، فراح يرعى الحيوانات ويهتم بها ، وقد ظهر ذلك في معلقه أيما ظهورعندما ذكر الفرس والناقة والعقاب وحمار الوحش والثور . يقول الشاعر عبيد بن الأبرص :

أقفَرَ مِنْ أَهْلِهِمَلْحوبُ فالقطيِّبَـــاتُ فالذَنوبُ

وبُدِلَتْ مِنهم وُحوشـــاً وغَيَّرَتْ حالَها الخُطوبُ

أرضٌ توارثَها الجُدوبُ فكلُّ مَنْ حَلَّهَـــا مَحْروبُ

إمَّا قتيـــلاً وإمَّا هَلِكَـــاً والشَّيبُ شَيْنٌ لِمَنْ يَشيبُ (2)

---

(1)ــ البخاري ، صحيح البخاري ،حديث رقم (2102) . ج8 . ص21

(2)ــ الزوزني ، شرح المعلقات العشر ، مرجع سابق ص 330 .

والمتأمل في هذه الأبيات يجد جانباً جمالياً ميز شاعرنا هذا عن غيره ، حيث خالف شعراء المعلقات الذين بدؤا مطالع معلقاتهم بالوقوف على ما درس من أطلال ، أما هو فبدأ معلقته بالوقوف على سبب الحياة (الماء)،ولا عجب في ذلك ، فشاعرنا رعى الغنم ، وعلم أن الحيوان كالإنسان قد يستغني عن الكلأ، لكنه لا يستغني عن الماء ، فذكر: (ملحوب).(1)

فالحياة عنده انقطعت لانقطاعها عن الماء ، كما يوجد هنا فائدة جمالية،هي كثرة الخير والماء في هذه البقعة من الأرض ، بدليل أن الماء موجود والناس هم الذين رحلوا.ويقول الشاعرأيضاً:فكل ذي نعمة مخلوس وكل ذي أمل مكذوب

وكُلُّ ذي إِبلٍ موروثٌ وكُلُّ ذي سَلَبٍ مسلوبٌ

وكلُّ ذي غيبةٍ يؤوبُ وغائِبُ الموتِ لا يؤوبُ

مَنْ يسألُ الناسَ يحرُموهُ وســـائِلُ اللهَ لا يخيبُ .(2)

هذه الأبيات تظهر إبداع الشاعر ممزوجاً بالحكمة التي جاءت بشكل عفوي غير مقصود ة ، فالصحراء علمته أن لا شيء يدوم على حاله ، فصاحب النعمة قد يصبح فقيراَ ،وصاحب الأمل في الدنيا قد يأتيه الموت فيقطع أمله ، وصاحب الإبل بعد موته يرثه الوارثون ، وحتى اللص قد يسرق أحدهم ما سرقه . إنه يريد فائدة جمالية تقول : لا شيء جميل في هذا الكون إلا الله الذي خلق الموجودات ، وأن الله وحده الجميل صانع الجمال ، وخالق الأشياء،والمتصرف في هذا الكون العظيم ، وأن من يسأله بصدق يعطيه .

---

(1) ــ انظرالزوزني ، المرجع السابق . ملحوب : اسم ماء لبني أسد بن خزيمة . ص 330

(2) ــ المرجع السابق . ص 331 ــ 332

وفي الحقيقة لا أعلم سبباً ينفي عن شاعرنا عبيد بن الأبرص الفحوله ،بحسب زعم الأصمعي ، حيث لم يذكره مع فحول الشعراء . (1)

وتستمر المعلقات في عرض فرسان جمالها ومبدعيها لتقف بنا مع لبيد بن ربيعة ، والذي تميز عن غيره من الشعراء بدقة الوصف للأشياء وتحديد الأماكن التي يمر بها أثناء السفر ، وخاصة في معلقته ، فهو يحيط بجميع صور الموصوف وصفاته ، وفي معلقته يسمو بشعره إلى ما وراء الطبيعة ، وهذا شيء انفرد به عن غيره من أصحاب المعلقات .(2)

يقول لبيد بن ربيعة العامري :

عَفَتْ الدِّيارُ محلُّها فمقامُها بِمِنىً تَأَبَدَ غولُها ورجامُها

فمدافِعُ الريَّانِ عُرِّيَ رَسْمُهَا خَلِقاً كما ضَمِنَ الوحيُّ سُلامُها

دِمَنٌ تَجرّمُ بعدَ عهدِ أنيسِها حِجَجٌ خلونَحَلالهَا وحَرامُها (3)

فنحن نرى الجمال عنده شديد الوضوح ، فقد ظهر الجمال لديه في تفصيله الأماكن وحاجته النفسية إليها،فنراه يذكر في البيت الأول من معلقته (منى ، غول ، رجام) وكلها أسماء لأماكن مر بها الشاعر ن وله فيها ذكريات جميلة . كما تمثل إبداع الشاعر في قوة ملاحظته لما حوله ، وخاصة عند وصفه مشهد الصيد وحال البقرة الوحشية وهي مطاردة من قبل كلاب الصيد ، ونجد ذلك في قول لبيد :

---

(1) ــ الأصمعي ، فحولة الشعراء . ط 2 . 1980 م . ص23 .

(2)ــ الزوزني ،مرجع سابق . 158

(3) ــ المرجع السابق .

وتُضيءُ في وجهِ الظَّلامِ منيرةً كجُمانةِ البحريِّ سُـــــلَّ نِظامُهـــا

حتَّى إذا انحسرَ الظَّلامُ وأَسْفَرَتْ بَكَرَتْ تَزِل عن الثرى أزلامُها

عَلِهَتْ تُرَدِدُ في نُهاءِ صَعائِدٍ ســـــــــــبعاً تؤاماً كامـــلاً أيامُهـــــــــا (1)

فما أجمل وأدق هذا الوصف ، الذي جعل البقرة البيضاء درة منيرة وسط الليل البهيم الأليل ، وإن قوله : (سُلّ نظامها) فيه فائدة جمالية رائعة مفادها أن البقرة الوحشية قوية محتالة ذكية غير مستقرة ، حتى لا تصل إليها الكلاب ، إذ الكلب حيوان يعتمد الشم وسيلة للوصول لفريسته ، والبقرة بهذا التنقل السريع ضيعت على الكلاب فرصتها في الوصول لمبتغاها ، والصورة الفنية هنا جميلة جداً، صنعها خبير متمرس مجرب ، ظهرت خبرته وإبداعه عندما أسقط حاله وحال ناقته على هذه البقرة ، فهو مثلها في تحمله وقوته ، وهو مصر على تحقيق هدفه ، والوصول لمبتغاه ، وهي صبرت سبع ليال بأيامها وحرها وقرها تبحث عن وليدها المفقود ، إنه صراع الحياة الأبدي مع الموت ، لكن القدر قد يخون صاحبه ، فيصبح الصائد فريسة ، وقد تجري الرياح بما لا تشتهي السفن.يقول لبيد:

حتى إذا يَئِسَ الرُماةُ وأرسلوا غَضَفَاً دواجِنَ قافِلاً أعصامُها

فلحِقن واعتكَرَت لها مُدريَّةٌ كالســـــــــــــمهريةِ حدُّها وتمامُها

لتذودهُنَّ وأيقَنَتْ إنْ لم تذ دْ أَنْ قد أَحَمَّ مع الحتوفِ حمامُها

فَتَقَصَدَتْ منها كَسَابُ فَضُرِّجَتْ بِدَمٍ وغُودِرَ في المكَرِّ سخامُها (2)

---

(1) ــ الزوزني ،مرجع سابق .ص 178 .

(2) ــ المرجع السابق ص 180 ، 181

إن إصرارها على الحياة هو إصرار الشاعر على الوصول لما يريد ، وما الرماة إلا ظروف الحياة الصعبة من حوله ، وما الكلاب المدربة إلا محاولات الفشل لمن يريد الإضرار به ، كيف لا وكل المشهد من تخيل الشاعر ومن بنات أفكاره هو ، وليس البقرة ، وأيضاً إن محاولات الكلب سخام للتدخل وإنقاذ الكلبة كساب لدليل على كثرة المشاكل والأعداء حوله . لكن قضاء الله هو النافذ في النهاية لا محالة ، وثنائية الموت والحياة في سباق مستمر إلى الأبد .

وهكذا تبين لنا أن الصلة بين الجمال والإبداع وثيقة ، فالإبداع ما هو إلا نتيجة للجمال المتجسد في جميع الموجودات على وجه البسيطة ، فلا جمال دون شعور مرهف بالجمال .

المبحث الثاني :"البطل، الكريم، المرأة الإيجابيّة".

أولاً ــ نموذج البطل :

إن الأبطال الذين أنجبتهم الآداب والفنون هم أكثر عدداً من أولئك الذين أنجبهم الواقع. وحتى عندما يخرج من الواقع بطل حقيقي، نراه يُوجَّه فوراً إلى ساحة الآداب والفنون لتضع لمساتها على حلته كما يشترط المجتمع أو يتوقع. ولذا، كان من الطبيعي أن تتقلب صورة البطل وتتنوع بتقلب أنماط الحياة الاجتماعية وقيمها، وبالتالي تقلب الآداب والفنون المعبرة عنها.(1)

وخير مثال على نموذج البطل في المعلقات عنترة بن شداد العبسي ، وإن أول ظهورلعلامات البطولة لديه قد بدت في قوله ــ وهو يتسامر وحبيبته ــ :

أثني عليَّ بما علمتِ فإنَّني سَـــــمْحٌ مخالقتي إذا لم أظلَمِ

وإذا ظَلمْتُ فإنَّ ظُلميَ باسِلٌ مرٌّ مذاقَتُه كطعمِ العلقَمِ (2)

فالبطولة عند عنترة تعني الشجاعة في الحرب ، والتغلب على أقوى الخصوم المسلحين . وعنترة يبدو أنه لا يلجأ لقتال أعدائه تعدياً عليهم ، ــ وهذه شهامة العربي ــ بل كان يقاتل الظالمين ، وهذا يعني أن سبب جعل الشاعرعنترة بن شداد بطلاً مرجعه كره الظلم ، والكل يعلم أنه ظُلم من أقرب الناس إليه ، أبيه ، ومن قبيلته ، فجاءت بطولته ردة فعل على الظلم والظالمين .

---

(1) ــ عودة ،هشام ، مجلة القافلة ، ديسمبر 2009م ، ملف العدد ،البطل .

(2)ــ الزوزني ،شرح المعلقات العشر. ص 246 .

وعنترة وجد في (البطولة) العزاء والسلوان كي يعيش كغيره من بني البشر ، وحتى لا يعامله الناس كعبد بلونه الأسود ، بل أراه جعل لونه الأسود مصدر عزه وفخره بعد أن كان تهمة يرمى بها من أقرب الناس إليه ،عدا حبيبته عبلة.

وكان لقب البطل لدى العرب مرتبطاً بالسيد الحر وحده ، وليس للعبد أو المرأة بطولة ، لكن عنترة غير هذا المفهوم ، وجعل البطولة مفهوماً حراً لا يرتبط بلون ولا بحسب أو نسب ، وصارت البطولة متعلقة بفعل فاعلها لا بلونه وحسبه ونسبه أو قبيلته. وتظل قضية الشاعر والفارس الأسود عنترة العبسي قصة استثنائية في حياة العرب قبل الإسلام، فلم يتم الاعتراف به كبطل، رغم حمايته للقبيلة وإنقاذ سمعتها، إلا بعد أن اعترف شداد بنسبه، ليكون البطل حسب التقاليد السائدة معروف الأصل والانتماء (1)

يقول عنترة بن شداد دالاً على بطولته:

هَلَّا سألتِ الخيلَ يا ابنةَ مالكٍ إنْ كنتِ جاهلةً بما لم تعلمي

يخبرْكِ مَنْ شهدَ الوقيعةَ أنَّني أغشى الوغى وأَعِفُّ عندَ المغنمِ

ومُدَجَجٍ كَرِهَ الكُماةُ نِزَالَهُ لا ممعنٍ هرباً ولا مُستَسْلِمِ

جادَتْ له كفّي بعاجلِ طعنةٍ بمُثَقَفٍ صدقِ الكُعوبِ مُقوَّمِ

فَشَكَكْتُ بالرُمحِ الأصَمِّ ثيابَه ليسَ الكريمُ على القنا بمُحَرَمِ

فتركتُه جَذرَ السباعِ ينشنَه يَقْضِمْنَ حُسْنَ بنانِه والمعصَمِ .(2)

---

(1)ــ انظر: مجلة القافلة . البطل .

(2) ــ الزوزني ، شرح المعلقات العشر. ص248 ، 249 ، 250

وبهذا القول يؤكد عنترة بن شداد على أن البطولة لا ترتبط بما في صاحبها ،وقدرته على قهر شهواته ، فهذه صفات الفارس وأخلاقه ، بدليل قوله :(وأعف عند المغنم)، بل البطولة مختصة بما يظهر في الغير وقهره ، فعنترة لا يهرب عند مواجهة الأبطال بل يختار أشجعهم وأقواهم .(1)

إن عنترة بهذا يفصل بين البطولة وغيرها من الصفات الأخلاقية الواجبة على الفارس أصلاً . وبطولة عنترة تكاد تكون خرافية ، مع واقعيتها ، فعنترة إذا قاتل وبارز ، فإنه لا يقاتل إلا الأبطال ، وغريمه هنا يخاف من المحاربون الأبطال ، لكن عنترة سُر برؤيته ، فهذا مطلبه ، وقد دلل عنترة على ذلك بلفظة (مدجج)، وهذا يعني أن الفارس شجاع ومتمرس ومدرب جيداً ، فلباس الحرب لا يلبسه إلا الفرسان الأبطال ، ودليل قوة غريمه أيضاً هرب وخوف المقاتلين منه،فكلهم ابتعد عن طريقه بدليل قوله:(كره الكماةُ نزاله) .

وإن ما يظهر بطولة عنترة في هذه المعركة أنه لم يلق عناءً في قتل الخصم ، والدليل كلمة (طعنة) أي ضربه ضربة واحدة فقط فأرداه صريعاً ، وكذلك عندما يقول عنترة : (شككت ثيابه) أرى هنا سخرية من الخصم ما بعدها سخرية ، وكأنه يقاتل ثياباً لا إنساناً شجاعاً . إنها النفس القوية التي لا تهاب الموت ، تموت ولا تخضع للذل أبداً . ومرة أخرى يسخر منه عنترة قي قوله : (حسن بنانه والمعصم)، فهو يُسقط عليه هنا صفة الأنثى ، لأن المقاتل الفارس لا يوصف بمثل هذه الصفات، صفات النعومة واللطافة والحسن . إنه الاستخفاف بالخصم وأيّ استخفاف .

---

(1) ــ التوحيدي ،أبو حيان. الهوامل والشوامل . ص 133

ويقول عنترة متابعاً قصة بطولته :

لَمَّا رَآنيقَدْ نَزَلْتُ أُرِيدُهُأَبْدَينَوَاجذَهُ لِغَيْرِ تَبَسمٍّ

عَهْدِي بِهِمَدَّ النّهَارِ كأَنَّماخُضِبَالْبَنَانُ وَرَأْسُهُ بالعِظْلِمِ

فَطَعَنْتُهُبالرُّمْحِ ثُمَّ عَلَوْتُهُبِمُهَنَّدٍصَافِي الحَدِيدَةِ مْحِذَمِ (1)

وأسلوب عنترة البطولي يعتمد على وصف مظهر خصمه الخارجي ، لأن علامات الخوف تبدو على الأعضاء الخارجية للجسم ، من مثل الوجه واليدين والرجلين عند مشاهدته ، فيظهره في قمة الهلع والخوف كي تظهر بطولته في أروع صورها ، فخصمه كشر عن أنيابه مظهراً القوة ، لكنه في الحقيقة ترتعد فرائصه من الخوف ودليل ذلك قول عنترة:(لغير تبسم).

ولا أوافق الزوزني فيما ذهب إليه من أن الفارس بدا رأسه وبنانه مخضبين ـــ بعد قتله ـــ بنبات العظلم طوال النهار،إذ كيف يكون القتل وفي البيت الذي يليه اعتلى عنترة صدره وطعنه ،فهذا تناقض واضح ، فالصورة توحي لنا بأن الفارس الخصم من شدة الخوف قد تصبب عرقاً كأنما خضب رأسه وبنانه بنبت العظلم ، فهذا أنسب للحالة المذكورة ، بدليل أن القتل بالسيف المهند جاء بعد تصوير الخصم بهذه الحالة من الخوف .

---

(1) ـــ الزوزني ، شرح المعلقات العشر ،ص 251 ،252

ومن مظاهر بطولة عنترة أنه يحمي قومه ويدافع عنهم ،رغم أنهم عادوه وعيروه بأمه وسواد لونه ، حيث جعل نفسه درعاً يحميهم ، راضياً غير متضجر ولا ساخط . يقول:

وَلَقَدْحَفِظتُ وَصَاةَ عَمِّيَ بالضُّحىإِذ تقلِصُالشفَتَانِ عن وَضَحِ الْفَمِ

في حَوْمَةِالحرْبِ الّتي لا تشْتَكيغَمراتِهَاالأبْطالُ غَيْرَ تَغَمْغُمِ

إِذْ يَقُوَّنَبي الأَسِــنَّةَ لم أخِمْعنها وَلكِنِّيتَضَايَقَ مُقْدَمي

لّما رَأَيْتُالْقِــوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهمْيَتَذامَرُونَكَرَرْتُ غيرَ مُذَّمِ (1)

وعنترة أشرك ببطولته فرسه ، الذي لم يترك معركة إلا وخاضها معه ، نعم إنه إخلاص الصديق لصديقه.يقول:

يَدُعونَعَنْتَرَ وَالرِّماحُ كأنّهاأَشْطانُ بئْرٍفي لَبَانٍ الادْهَمِ

ما زِلْتُأَرْمِيهِمْ بثُغْرَةِ نَحْرِهِوَلَبَانِهِ حتىتَسَرْبَل بالدَّمِ

فازْوَرَّ مِنْوَقْعِ الْقنَا بلَبَانِهِوشَكا إِلَيَّبِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ

لَوْ كانَيَدْرِي مَا الُمحاوَرَةُ أشْتَكَىوَلَكَانَ لَوْعَلِمَ الْكَلامَ مُكَلِّمِي(2)

ففرس عنترة لا تفارقه في حروبه كلها ، وهذه الفرس حقيقية واقعية ، وليست أسطورية .

---

(1) ــ الزوزني ،شرح المعلقات العشر . ص 254 ، 255

(2) ــ المرجع السابق ص 255 ، 256

ويجب الإشارة هنا إلى أن العرب لم يعرفوا قديماً البطولة المسرحية ولا البطولة الأسطورية ، وإنما عرفوا البطولة الواقعية ، بطولة يرتفع فيها صاحبها عن الأشخاص العاديين بقوته وبسالته وإقدامه وجرأته وتغلبه على أقرانه ، وهو منهم ، من ذات أنفسهم ،لا من سلالة الآلهة .(1)وعنترة الواقعي كوَّن علاقة حميمة مع فرسه ، شريكه في الدروب إلى الحبيبة ، كما في الدروب إلى القتال .

نعم هذا ارتباط العربي بالطبيعة وما فيها ، إنه التعايش الطبيعي بين الموجودات في شبه الجزيرة العربية ، تعايش بين الرجل وراحلته ، بين الفارس وفرسه ، لدرجة أن فرسه تسربل بالدم وهو صابر ما فر من أرض المعركة ، بدليل قول عنترة :(تسربل بالدم) ، وإن شكوى الفرس هنا تدل على أمرين مهمين :

الأول ـــ إن الفرس تربطه بعنترة رابطة الصداقة،فهما يتحدثان مع بعضهما على الدوام .

الثاني ـــ إن المعركة حامية الوطيس، لأن الفرس رغم جلدة وقوته العضلية تعب وشكا، وعنترة لم يشكو،أويتعب .

ونحن نعلم أن العبرة والتحمحم هما وسيلتا الفرس للتعبير أو التخاطب مع الآخرين ، والعبرة لم تنزل من عيني الفرس إلا بعد ضرب شديد بالرماح من قبل أعداء صاحبها ، ثم جاء التحمحم ، لكن عنترة في عالم آخر ، عالم أعاد له حريته وعزة نفسه وكرامته ، إنه العالم الذي غير مفاهيم قومه الذين ربتهم العادات الجاهلية ، فخنعوا وخضعوا لها ، وكانوا الأطفال المدللين عندها ، لكن بعض الأطفال عق أمه ، وتمرد على أبيه ، ولبى نداء الحرية الحمراء،فضرجت يداه بالدم الأحمر القاني مهراً رخيصاً لها.

---

(1)ـــ ضيف ،شوقي،البطولة في الشعر العربي، ط 2، دار المعارف، ص13

والفرس بالنسبة لعنترة هي نسبه ،وأهله ، ومصدر فخره ، وهي التي لم تتخل عنه عندما تخل عنه الآخرون .

هذه بعض من ومضات البطولة لدى شاعر بطل ذاع سيطه ، وطارت شهرته إلى يومنا هذا .

ثانياً ــ نموذج الكريم:

إن الكرم والجود من مكارم الأخلاق ، ومن أفضل الصفات على الإطلاق ، وأوصى الله بها نبيه العظيم ، وحثنا عليها في كتابه الكريم ، وجعلها من دلائل الإيمان ، وشرفها بالذكر في القرآن ، ومنها جاء الإكرام والتكريم في كل أمر جليل عظيم . (1)

فهذا زهير بن أبي سلمى يمتدح كرم السيدين ، هرم بن سنان والحارث بن عوف لما بذلاه من مال وجهد ، دفعاً لشر الحرب والويلات ، حيث يقول :

يَميناًلَنِعْمَ الْسَّيِّدانِ وُجِدْتُمَا على كلِّ حالٍمن سَحيلٍ وَمُبْرَمِ

تَدَارَ كُتماعَبْساً وَذُبْيَانَ بَعْدمَاتَفَانَوْاوَدُّقوا بَيْنَهُمْ عِطْر مَنْشِمِ

وقَدْ قُلْتُما :إِنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ واسِعاًمالٍ ومَعْروفٍمن الْقَوْلِ نَسْلَمِ

عَظِيمَيْنِ فِيعُلْيَا مَعدٍّ هُديتُماومَنْيَسْتَبِحْ كتراً من الَمجدِ يَعْظُمِ (2)

ولولا كرم الرجلين لهلكت القبيلتان عن بكرة أبيهما ، وزهير أكد آثار كرم السيدين ، وأنه أنقذ الكثيرين من الهلاك . والكرم مرتبط بالبذل ، قرين العطاء ، وهو من خلال الخير والفطرة يدل على سلامة الطبع ، ونقاء السريرة . (3)

---

(1)ــ حلبي ،سمير حسين ، الكرم والجود والسخاء ، ط 1. ص4

(2) ــ الزوزني ، شرح المعلقات السبع . ص 75، 76

(3) ــ حلبي، مرجع سابق . ص 7

وإن فضيلة الكرم رفعت الرجلين ، وجعلتهما في منازل الشرفاء والعظماء كما قال زهير ، وإن اليقين الذي امتلكاه ، وعمل الخير أهداهما مجداً وفخراً ، تذكره الأجيال القادمة على مر العصور فضلاً ورفعة وعزة.

ونجد الكرم لدى شاعرنا زهير عندما أحب أن يعم الخير والسلام بين الجميع ،فراح يقدم النصائح للذين أبرموا العهود ، حاثاً إياهم على نبذ الخلافات ، محذراً من الحرب وخطرهافيقول:

أَلا أَبْلِغِالأَحْلافَ عني رِسَالَةًوَذُبيَانَ هلأَقْسَمْتُم كلَّ مُقْسَمِ

فَلاتَكْتُمُنَّ اللهَ ما في نُفُوسِكمْلِيَخْفَىومَهْما يُكْتمِ اللهُ يَعْلَمِ

وَمَا الحَرْبُإِلا ما عَلِمْتُم وَذُقْتُمُوماَ هُوعَنْهَا بالحَديثِ الُمرَجَّمِ

فَتَعْرُكُكُمْعرْكَ الرّحى بثِقالهاوَتَلْقَحْكِشَافاً ثمَّ تُنْتَجْ فَتُتْئِمِ

فَتُنْتِجْلَكُمْ غلْمانَ أَشأَمَ كّلهمْكأَحْمَرِ عادٍثمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ (1)

فهو يخاطب قبيلة عبس وحلفاءها ، ويحثهم على إبرام حبل الصلح و ضبط النفس ، ومراقبة الله ، لأنه يرى كل شيء ، ويحذرهم من عواقب الحروب . فالذي يصلي الحرب يحرق بنارها ، وكل من يسالم الناس يسلم بسلمه ، ومن يضمر الشر فسيعاقبه الله على فعلته ، سواء في ذاته أو في أولاده وذريته ، وستصبح حال من يطلب الحرب كحال الطحين تحت حجرة الرحا. (2)

---

(1)ـــ الزوزني ، شرح المعلقات السبع ص 77، 78.

(2)ـــ الزوزني، شرح المعلقات العشر . ص143 ـــ 144 .

وأصل المحاسن كلها الكرم ، وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام ، وسخاؤها بما يُملك على الخاص والعام . (1)وبهذا المعنى يقول عنترة بن شداد البطل :

الشَّاتِميْعِرضِي وَلَمْ أَشْتِمْهُماوَالْنَّاذِرَيْنِ إِذا لَمَ الْقَهُمادَمي (2)

فالنزاهة صفة من صفات عنترة حيثما حل وأينما ارتحل ، وهذه الصفة أبعدته عن شتم الناس الذين شتموه . نعم هذا هو عنترة البطل الذي يتحلى بأخلاق الفروسية كلها . وأيضاً فالدعوة لفعل الخير صورة من صور الكرم .

يقول عبيد بن الأبرص:

ســـاعِدْ بِأرضٍ إنْ كُنتَ فيهاولا تَقُـــلْ إنَّنـــي غَـــريبُ (3)

ومن صورالكرم في المعلقات تقديم الطعام للضيوف يقول عمرو بن كلثوم:

نَزَلْتُمْ مَنْزِلَالأَضْيَافِ مِنَّافَأَعْجَلْنا الْقِرَى أَنْتَشْتِمُونا

قَرَيْنَاكُمْ فَعَجَّلْناقِرَاكُمقُبَيْلَ الصُّبْحِ مِرْدَاةًطَحُونا

نَعُمُّ أُنَاسَنا وَنَعِفُّعَنْهُمْوَنَحْمِلُ عَنْهُمُ مَاحَمَّلُونا (4)

---

(1) ــ حلبي ،مرجع سابق . ص7

(2) ــ الزوزني ، شرح المعلقات العشر .ص 257

(3) ــ المرجع السابق .ص333

(4) ــ المرجع نفسه .ص 208، 209

حيث إن السمة السائدة لدى العرب كرم الضيافة ، لذلك كانوا يمدحون الكريم ، ويذمون البخل ، فراحوا يقرون الضيف ، ويعجلون في إطعامه ، دفعاً لصفة البخل عنهم ، وإن اختيار وقت قبيل الصبح من الشاعر لدليلٌ على أنهم يستيقظون قبل الضيوف لإعداد الطعام لهم ، وما هذا إلا تأكيد على صفة الكرم .

ثالثاً ــ نموذج المرأة الإيجابية :

كان للمرأة في الجاهلية مكانة مرموقة ، ومنزلة عالية لا تدانى ، والدليل على هذا ما توارثناه من شعر الشعراء ونثر الأدباء الذي يتغنى بالمرأة ، ولا يفتأ عن ذكرها ، والإشادة بها في غدوه ورواحه ، وممساه مصبحه ، وذكرها يصاحبه حيثما حل ، وأينما ذهب ، ونراه حتى في أشد ويلات الحرب ، ومنازلة الأعداء يذكرها ولا ينساها . (1)

وعبلة نموذج للمرأة الإيجابية ، ولقد نالت مكانتها العظيمة في عيني الشاعر لما حملته من صفات أخلاقية جميلة من مثل الحياء وغض الطرف . يقول عنترة :

دارٍ لآنسةٍ غضيضٍ طرفُها طَوعَ العِناق لذيذةَ المُتَبَسَمِ

فوقفتُ فيها ناقتي وكأنَّها فَدْنٌ لأقضيَ حاجةَ المتلَوِّمِ

وَتَحِلُ عبلةُ بالجوارِ وأهلُنا بالحزنِ فالصَمَّانِ فالمتثلمِ

علقتها عرضاً وأقتلُ أهلَها زعماً لَعَمْرُ أبيكِ ليسَ بمَزعَمِ (2)

---

(1)ــ معبدي ، محمد بدر ، أدب النساء في الجاهلية والإسلام . القسم الأول ،النثر. المطبعة النموذجية .ص 3

(2) ــ الشنقيطي، أحمد الأمين، المعلقات العشر وأخبار شعرائها. ص 123

إنها هذه الفتاة تغض طرفها ، ولا تنظر حولها من شدة حيائها ، وإنها تتبسم ، ولا تضحك ، لأن الضحك أمرغير محمود للمرأة والتبسم أفضل منه ، ففي الضحك صوت مرتفع ، وأما التبسم فلا صوت فيه ، ودليل على حياء الفتاة ، لذلك قال عنترة (المتبسم) .

وانظر لقول عنترة (علقتها عرضاً) ، تر أن عنترة عشق الفتاة فجأة ، دون علمها بذلك ، ودون تخطيط مسبق ، وهذا دليل على أن عبلة فتاة حيية عفيفة ، وعبلة ما كانت لاهية ولا عابثة أبداً ، بل ذكية ، لماحة ، فطنة . وتستحق أن تكون نموذجاً للمرأة في عصرها .

وقد تماثل هريرة عبلة في بعض صفاتها الخلقية ، فهي فتاة إذا خرجت ، فإنها تخرج محتشمة ، غير مسرعة في مشيتها لرزانتها ، ولكي لايبين شيء من تفاصيل جسدها ، والجيران يحترمونها ويشهدون لها بحسن الخلق وأدب السلوك ، وهي أمينة لا تفشي الأسرار ، ولا تسترق السمع لتعرف أخبار الغير كسائر النساء .يظهر هذا في قول الأعشى :

و

ـ

ـ

تَ

ل

---

(1) ــ الزوزني ،شرح المعلقات العشر . ص 314 ــ 315 .

ويبدو أن هريرة من أهل بيت أثرياء ، مدللة ، بدلالة لفظة (الحلي) ، ويظهر أن صفات: البياض ،وطول الشعر والقامة،وصقل الأرداف، ومشي التؤدة من الصفات المرغوبة في المرأة لدى العرب .

وإن صدود هريرة عن الرجال لدليل قوة في شخصيتها ، وهذا يظهر في قول الأعشى :

صَدَتْ هريرةُ عَنَّا ما تُكلِمُنا جَهْلاً بأُمِّ خُليدٍ حَبْلَ مَنْ تَصِلُ

قالَتْ هريرةُ لَّما جِئْتُ زائرَهَا وَيلي عليكَ وويلي مِنْكَ يا رَجُلُ (1)

والخوف على الشرف جعل هريرة لا ترضى بدخول الغرباء عليها أو لقائها ، فالشرف أمر حساس ، تطير الرؤوس لأجله لدى عرب الجاهلية .

وإذا لم تشترك النساء بالأعمال الفعلية في الحرب ، فقد كن يقمن بالأعمال الهامة للمحاربين ، كتأمين الماء والزاد والسلاح ، ويرفعن الروح المعنوية في القتال . (2)

ويظهر هذا الدور في قول عمرو بن كلثوم :

إذا مارُحْنَ يَمْشِينَالُهوَيْنَىكَما اضْطَرَبَتْ مُتُونُالشَّارِبِينا

يَقُتْنَ جِيادَنَا وَيَقُلْنَلَسْتُمبُعُولَتَنَـا إذَا لَمْتَمْنَعونـا

ظَعائِنَ مِنْ بَني جشَمِ بِنَبَكْرٍخَلَطْنَ بِميسَمٍ حَسَبًاوَدِينا (3)

---

(1) ــ الشنقيطي، مرجع سابق. ص 149 .

(2) ــ معبدي ، مرجعٍ سابق . ص 4

(3) ــ الزوزني .شرح المعلقات العشر . ص 221

هكذا حال النسوة اللواتي يحملن هموم الرجال ، والقبيلة ، إنهن يقمن بأدوار لا تقل عن أدوار الرجال في السلم أوفي الحرب .

المبحث الثالث _ (الجليل ، الجميل ، السامي ، النبيل):

أولاً_____ نموذج الجليل :

إنَّ حالة الجلال هي الارتباط بالله خالق الأكوان ، أي في الجليل سبحانه وتعالى والتعلق به ، خضوعاً واعترافاً بقدر عظمته في هذا الوجود، حيث إن الجلال مظهر من مظاهر الغلبة والقدرة ، وقبل التفصيل فيما أريد لابد من توضيح معاني الجليل كي يسهل علينا التوضيح والإيصال :

(جَلَلْ)حرف بمعنى نعم، حكاه الزجاجُ في كتاب الشجرة؛ واسم بمعنى عظيم (1)

(جَليلٌ) من جِلَّةٍ، و جَلالاً عَظُمَ (2)

(جلل) اللهُ الجَليلُ سبحانه ذو الجَلال والإِكرام جَلَّ جَلال الله وجَلالُ الله عظمتُه ولا يقال الجَلال إِلا لله والجَلِيل من صفات الله تقدس وتعالى وقد يوصف به الأَمر العظيم والرجل ذو القدر الخَطِير. (3)

و(الجَلِيل)(في علم الفلسفة) : ما جاوز الحَدَّ من نواحي الفنّ ، والأخلاق ، والفكر . (4)

---

(1)ــ ابن هشام . مغني اللبيب عن عن كتب الأعاريب . ص46 .

(2)ــ الفيروز آبادي . القاموس المحيط . ص69 .

(3)ــ منظور ، محمد بن بكر . لسان العرب . ط1 ، بيروت . ص116

(4) ــ معجم المعاني . شبكة الانترنت .

وكما ندرك الجمال بالعين ونلمسه بالحواس ، فإن الجلال يدرك بالعقل الباطني .

يقول الحارث بن حلزة اليشكري :

فَهدَاهُمْبالأَسْوَدَيْن وَأَمْرُ اللّـــــهِ بِلْغَتَشْقَى بِهِ الأَشْقيَاءُ (1)

فالجلال سكن قلبه ، ففاضت منه حكمة تدل على جلال الله الجليل المنعم المتفضل على عباده ، ففي البداية تمر وماء ، وفي النهاية قضاء مبرم من الله على الأشقياء .

وصفة الجلال تدفع صاحبها إلى مراقبة السلوكات والأفعال لنفسه ولغيره ، لأنه متيقن أن الجليل لا يقبل بالخطأ ، لذا يسعى نحو الجلال معتقداً بعظمة الخالق الجليل . يقول زهير بن أبي سلمى :

فَلاتَكْتُمُنَّ اللهَ ما في نُفُوسِكمْلِيَخْفَىومَهْما يُكْتمِ اللهُ يَعْلَمِ

يُؤَخَّرْفيُوضَعْ فِي كِتَابٍ فَيُدَّخَرْلِيَوْمِالحِسابِ أَوْ يُعَجَّلْ فيُنْقَمِ (2)

ويرى ابن عربي أن التجلي الإلهي للبشر لا يكون إلاّ في جلال جماله يقول: "ولحضرة الجلال السُبُعات الوجهية المحرقة، ولهذا لا يتجلى في جلاله أبداً، ولكن يتجلى في جلال جماله لعباده، فيه يقع التجلّي، فيشهدونه مظهر ما ظهر من القهر الإلهي في العالم" (3).

---

(1) ــ الزوزني ، شرح المعلقات العشر . ص 275 .

(2) ــ المرجع السابق . ص 143 .

(3) ــ ابن عربي ، محي الدين ،الفتوحات . 3 . ص543 .

و إن الجلال والجمال مترابطان، إذا تجلّى الجمال ملك شغافالقلب وقهر العاشق، وخلق في نفسه هيبة ورهبة ووجلا. فالإنسان العاشق دائماً بين خوف ورجاء ،يتعاوران في قلبه فيزداد اندفاعاً نحو طلب رضا الجليل وتحقيق المُثُل التي يطلبها . وإن التعلق بالجليل الخالق يدفع الإنسان للعمل بما يحب ويرضى ، ويضفي على حياته روحانية لا يشعر بها غيره من بني البشر ، روحانية تهذب السلوك ، وتسعى للخير ، وتأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وبهذا المعنى يقول زهير بن أبي سلمى :

وَمَنْ يَجْعِلِالمعْروفَ مِن دُونِ عِرْضِهِيَفِرْهُ وَمَنْلا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ

وَمَنْ يَكُ ذافَضْلٍ فَيَبْخَلْ بفَضلِهِ على قَوْمِهِيُسْتَغْنَ عنْهُ وَيُذْمَمِ

وَمَنْ يُوفِ لايُذْمَمْ وَمن يُهدَ قلبُهُ إِلىمُطْمَئِنِّ الْبرِّ لا يَتَجَمْجمِ

وَمَنْ هَابَأَسْبَابَ الَمنَايَا يَنَلْنَهُ وَإِنْ يَرْقَأَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

وَمَنْ يَجْعَلِالَمعْرُوفَ في غَيْرِ أَهْلِهِيَكُنْ حَمْدُهُذَمّاً عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ (1)

إذاً الجلال مفتاح الحكمة ، ولا حكمة إن ابتعد صاحبها عن مصدر الجلالة ، ونهل من معينها الذي لا ينضب أبداً .

والقناعة من الصفات التي يقود الجلال إليها . كيف لا والجليل يأمر بتلك الصفة، وينهى عن الانقياد لهوى النفس التي تورد المرء المهالك ، فبالهوى لا سيطرة للعقل على الإنسان ، بل الأهواء هي المسيطرة والقائدة يقول الشاعر لبيد بن ربيعة:

---

(1) ـــالزوزني ، شرح المعلقات العشر . ص 151 ــ 152 .

لا يَطْبَعُون ولا يُبورُفَعالُهُمْ إِذْ لا يَميلْ مَعَ الْهوىأَحْلامُها

فَاقْنَعْ بما قَسَمَ الَمليكُفإِنّما قَسَمَ الَخلائِق بَيْنَناعَلاُمها (1)

ولما كان التعلق بخالق الأكوان مطلباً ينشده العقلاء ، فقد بدا ذلك في خلجات نفوسهم ، من خلال أشعار تلفظوا بها ، فبدت علامات الجلال فيها ، و إن هذا الشعور بتعظيم الخالق ـــ عندما يتملك المرء ـــ لا يكون للمرء سلطاناً عليه ، بل يبين بين الفينة والفينة في أفعاله وأقواله ، ولا يكتفي بذلك بل ينقل هذا الشعور لغيره من أبناء جلدته ، مشاركاً إياهم ، من خلال ذكر الجليل القادر .

والنابغة الذبياني يذكر نِعم الجليل على سليمان بن داوود فيقول :

إلاّ سُليمانَ إذ قالَ الإلهُ لهُ قُمْ في البريَّةِ فاحْدُدْها عنِ الفَنَدِ

وخيِّسِ الجِنَّ إنّي قد أَذِنْتُ لهمْ يَبْنُونَ تَدْمُر بالصُّفَّاحِ والعَمَدِ

فمَنْ أطاعَكَ فانفَعْهُ بطاعتهِ كما أطاعَكَ وادْلُلْهُ على الرَّشَّدِ(2)

فالجليل يرتقي بمرتبة الجمال والجميل إلى حالة الكمال المطلق، إذ لا يوجد شبيه لـــه في الأشياء والظواهر، وإبداعات الإنسان... على الرغم من أن الإنسان قد يرتضي لنفسه نماذج إبداعية إنسانية قد تبلغ درجة عالية من الروعة، وربما وصلت إلى مرتبة قريبة من الجليل، فيصفها بالكمال والجلال؛ على حين ظل مفهوم الجليل مرتبطاً بالمعتقد الديني..

---

(1)ـــالزوزني ، شرح المعلقات العشر . ص 191 .

(2) ـــ المرجع السابق . ص 297 .

؛ إذ يقابل مفهوم الذات المقدسة. فالله أسمى من كل ما في الوجود؛ لأنه خالق الكون، وهو الخير المثالي، والمظهر المطلق للكون والإنسان والمصير؛ وإن لكل جمال جلالاً ولكل جلال جمالاً، وما بأيدي الخلق يظهر لهم من جمال الله(1).

وخلاصة القول:إن الجلال شعور بالعظمة ، وهذا الشعور يرتبط بتعظيم للجليل سبحانه وتعالى ، لأنه هو العظيم ، وبفضله أصبحت الخلائق تتنعم ، وراح الناس يتلذذون ، لكن هذه الحقيقة بعضهم لم يدركها ، ففاته هذا الشعور العظيم ، وحرم من نعيم المنعم.

(1) ــ انظر: كشاف اصطلاحات الفنون 330/1 ــ 332 ورسائل ابن عربي 25 ــ 43.

ثانياً ـــــــ نموذج الجميل:

يجب أن نعلم قبل كل شيء أن الأدب يخلق الجمال . (1) ، لذلك نجد شعراء المعلقات تعلقوا بالجمال لأن الأدب روح الجمال ، وثوبه البهي المزركش ، والجميل لدى شعراء المعلقات متعلق بالطبيعة ، لكننا مع ذلك نعترف بأن الإنسان لا يستطيع مضاهاة الطبيعة ، فالطبيعة تستمد جمالها من الخالق ، أما مرتسم الطبيعة على اللوح فإنه يستمد جماله من المخلوق الذي لا يستطيع أن يرقى لمرتبة الخالق .(2)

وقد ارتبط الجميل في المعلقات ارتباطاً قوياً بالطبيعة الصحراوية ، وكان أول عناصر هذا الجميل في المعلقات الحيوان كمثل الخيل، وسيلة الجاهلي في معاركه وصيده،وصديقه الحميم،ومصدر.إنه رمز القوة لدى العربي في جميع أحواله.يقول امرؤ القيس في فرسه:

مِكَر مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍمَعاًكجُلْمُودِ صَخْرٍ حطَّهُ السَّيْلمن عَلِ

كُمَيْتٍ يَزِل اللّبْدُ عن حالِمَتْنِهِكما زَلَّتِ الصَّفْواءُبالُمَتَنَّزِلِ

مِسَحٍّ إذا ما السَّابحاتُ علىالوَنَىأَثَرْنَ الْغُبارَ بالكَديدِالمرَكلِ

دَريرٍ كَخُذْروفِ الْوَليدِأمَرَّهُتَتابُعُ كفّيْهِ بخَيْطٍ مُوَصَّلِ

لَهُ أَيْطَلا ظَبْيٍ وساقانَعامةٍوَإِرْخاءُ سِرحانٍ وَتَقْرِيبُتَتْفُلِ(3)

---

(1)ـ كارلوني ، النقد الأدبي ، ط2 . 1984 . بيروت . ص54

(2) ـ البهنسي ،عفيف، الفكر الجمالي عند التوحيدي . ص 37

(3)ـ الزوزني ، شرح المعلقات العشر . ص64 .

ولقد كانت العرب ترتبط بالخيل في الجاهلية والإسلام معرفةً بفضلها، وما جعل الله تعالى فيها من العز، وتشرفاً بها، وتصبراً على المخمصة ، وتخصها وتكرمها وتؤثرها على الأهلين والأولاد، وتفتخر بذلك في أشعارها وتعتده لها فلم تزل على ذلك من حب الخيل ، ومعرفة فضلها حتى بعث الله نبيه، عليه السلام، فأمره الله باتخاذها وارتباطها، فقال: وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم. فاتخذ رسول الله، عليه السلام، الخيل وارتبطها، وأعجب بها، وحض عليها، وأعلم المسلمين ما لهم في ذلك من الأجر والغنيمة، وفضلها في السهمان على أصحابها، فجعل للفرس سهمين، ولصاحبه سهماً.(1)

ولهذا فامرؤ القيس وصف فرسه وصفاً عجيباً ،مزج فيه علامات الجمال الكثيرة ، من مثل السرعة والقوة والحسن والرشاقة ، حيث جعله في السرعة كانحدار الصخرة التي تهوي بواد سحيق الأعماق ، وجعله في القوة كالصفوان ،الحجرة الصلبة الملساء ،وجعله في الرشاقة كخدروف شد خيطه وفتل كثيراً فتراه لا يهدأ ، وجعله في الحسن كالظبي الجميل .إذاً كما يقول هيجل : إن الجمال هو التجلي الحسي للفكرة ، وإن الفن هو ترجمة للطبيعة ، يجعل من الواقع حسياً . (2)

ولقد شغلت الخيولُ بجمالها العربيَ منذ القديم ، فهذا عنترة لا يفتأ يذكرها ، وكيف ينساها وهو يبيت على ظهر فرسه الأدهم ليقول :

---

66 ــ ابن الكلبي ، أنساب الخيل ، ص 1 .

67 ــ كارلوني، مرجع سابق ، ص 55 .

تُمسِيوَتُصْبِحُ فَوْقَ ظَهْرِ حَشِيَّةٍ وَأَبِيتُفَوْقَ سَراةِ أَدْهَمَ مُلْجَمِ

وَحَشِيَّيسَرْجٌ على عَبْلِ الْشَّوَىنَهْدٍمَرِاكَلُهُ نَبِيلِ الَمحْزِمِ (1)

هكذا نظر الجاهلي للفرس على أنه من عناصر الجمال في الطبيعة،لا لمنفعته فحسب،بل لمظهره الجميل،فهذا عنترة وصفه بصفات جمال كمثل غلظ القوائم،وانتفاخ الجنبين.(2)

وعنترة مرة أخرى يصف جمال فرسه الأدهم ـــ وهو في الحقيقة يصف قوته ـــ ليقول:

هَلاَ سأَلْتِالَخيْلَ يا ابْنَةَ مَالِكٍ إِنْ كُنْتِجَاهِلَةً بِما لَمْ تَعْلَمِي

إِذْ لا أَزَالُعلى رِحَالَةِ سَابحٍ نَهْدٍتَعاوَرُهُ الْكمُاةُ مُكَلَّـمِ

طَوْراًيُجَرِّدُ للطِّعانِ وَتَارَةً يأوِي إِلىحَصْدِ الْقِسيّ عَرَمرَمِ (3)

والسؤال هنا من باب التكريم للخيل ، فهي الشاهدة دائماً على البطولات والانتصارات . وها هو الأعشى يرى جمال الخيول في طرادها وسباقها فيقول:

---

(1)ـــالزوزني ، شرح المعلقات العشر . ص240

(2)ـــ المرجع السابق. ص 241 .

(3)ـــ المرجع نفسه . ص 248 ـــ 249 .

(4)ـــ المرجع نفسه . ص 220 ـــ 221 .

وإن تَلَفُظَ الشاعر بلفظة (عادتنا) يوحي بأن سباق الخيل والطراد عادة من عادات العرب في الجاهلية ، ولما كان هذا من عادتهم لا شك فإنهم كانوا يشعرون بلذة عند مشاهدة الجَمال ، جمال الخيل وهي تعدو وتختال .

أما النابغة الذبياني فإنه رأى جمال الخيول في كونها ضامرة ، وهذه الصفة الجمالية يقصد منها فائدة السرعة ، وليس السرعة بمعناها القريب المعروف ، بل بلوغ الغاية والهدف المنشود المتحصل من السرعة فيقول :

والخَيلَ تَمزَغُ غربًا في أعِنَّتِها كالطَّيرِ تَنجو من الشُّؤْبوبِ ذي البَرَدِ(1)

والجمال قد لا يكون مرتبطاً بمظهر الخيول الخارجي فقط ، بل قد يكون متمثلاً بصوتها وصهيلها ، وليس الصوت وحده ، فالشاعر جمع صوت الخيول بصوت أهل البيت من أشخاص ينادون وآخرين يجيبون . إذاً فالخيل مدللة مقربة محببة إلى نفوسهم ، وفي هذا ارتباط ووحدة حال بين الخيول وأهل البيت . يقول الحارث بن حلزة اليشكري :

أجْمَعُوا أمْرَهُمْ عِشَاءَ فلَمَّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لُهمْ ضَوْضَاءُ

مِنْ مُنادٍ وَمِنْ مُجيبٍ وَمِنْ تَصْـــــهالِ خَيْلٍ خِلالَ ذاكَ رُغَاءُ(2)

ولقد رأى الجاهلي أن الخيول هي المدافعة عن الديار ، وهي الطاردة للأعداء . إذاً الجمال هنا جما القوة والمنعة للخيول . كيف لا وهي حصون العرب .

---

(1)ـــ الزوزني، شرح المعلقات العشر . ص 299 .

(2)ـــ المرجع السابق . ص 268 .

يقول الحارث بن حلزة اليشكري في ذلك :

إِرَمِيٌّبِمثْلِهِ جَالَتِ الْخَيْـــــلُ وَتَأْبَىلَحصْمِهَا الإِجْلاءُ (1)

وأما العنصر الجمالي الثاني في شعر المعلقات فيتمثل في الناقة الجميلة ، تلك الراحلة التي أقلت الجاهلي حيثما ارتحل ، إنها سفينة الصحراء القوية الصبورة ، إنها الصديقة والأنيسة للجاهلي في صحرائه الموحشة ، إنها مصدر طعامه ، ومحط اهتمامه ، ومهبط هيامه ، ومنبع إلهامه . ولقد كان للناقة أثر كبير في حياة العربي ، فهي التي تمده باللبن وتنقله من مكان لآخر ، حاملة ما لا يستطيع غيرها من أثقال ، وتهبه لحومها وشحومها ودهونها وأوبارها ، وتحفظ له الماء في كرشها إن نفد منه الشراب ، واضطرته الحاجة للبحث عنه في جوف ناقته . (2)لأجل ذلك كله سأقف عند الناقة مبيناً المظاهر الجمالية لها، وكيف نظر أصحاب المعلقات إليها نظرة جمالية في شعرهم المذهب .

فطَرَفَةُ بن العَبْد من أشهر وصّافها ،حيث نظر إليها على أنها جميلة ،مفرجة للهموم ، قوية كالجمل أو النعامة ،فيقول:

وانِّي لأُمْضِي الهَمَّ عندَ احْتِضارِهِ بِعَوجاءَ مِرْقالٍ تَرُوحُ وتَغْتَدِي

أَمُونٍ كأَلْواحِ الارانِ نَسَأْتُها عَلَي لاحِبٍ، كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُدِ

جُمَالِيَّةٌ وَجْناءُ تُرْدِي كأَنَّها سَفَنَّجَةٌ تَبْرِي لأَزْعَرَ أَرْبَدِ (3)

---

74 ــ المرجع نفسه . ص270 .

75 ــ الأصمعي، عبدالملك بن قريب . كتاب الإبل . ط1 . دار النشر . دمشق . ص5 .

76 ــ الدرة ،محمد علي طه .فتح الكبير المتعال على معلقات العشر الطوال.معلقة طرفة بن العبد البكري . ص 21 .

(المفردات: عَوْجاء: أراد الناقة التي لاتستقيم في سيرها لفرط نشاطها والعوجاء أيضاً: الناقة التي قد لحق ظهرها ببطنها فاعوجَّ شخصُها؛ مِرْقال: سريعة السير؛ أمون: (بالجرّ صفة للناقة المذكورة في البيت السابق، ويجوز رفعُه علي اعتباره خبراً لمبتدأ محذوف) وهي التي يؤمن عثارها وهو من خير ما تتَّصِفُ به الحيوانات؛ الالواح: جمع لوح وهو ما يكون من الخشب والحديد وغير ذلك؛ الاران: تابوتٌ عظيمٌ كانوا يحملون فيه سادتهم وكبرائهم دون غيرهم والاران في غير هذا النشاط والمرح؛ جُمَاليّة: الناقة التي تشبه الجمل في وثاقة الخلق؛ وَجْناء: مكتنزة اللحم؛ سَفَنَّجَة: النعامة؛ تَبْرِي: تعرض؛أَزْعَر: قليل الشَّعْر؛ أَرْبَد: رمادي اللَّون)(1)

والشاعرطرفة يقول :إنني لأدفع الهَمَّ والحُزْن عني أو انني لامضي عزمي وأنفذ اءرادتي عند حضورها بالركوب علي ناقة نشيطة في سيرها تَخبُّ خَبَباً في رواحِها وغدوها وقد أضعفها ذلك حتي ألحق ظهرها ببطنها فاعوج شخصها ، و انَّ الناقة التي أمضي همي بركوبي عليها، موثقة الخلق، يؤمن عثارها في سيرها وعدوها وعظام ظهرها كالواح التابوت العظيم أضربها عندما يقتضي ضربها بعصاه علي طريق واضحٍ بيِّنٍ كأنه كساء مخطَّط فيظهر من بعيد بسبب الخطوط الموجودة فيه، كما إن الناقة التي أمضي همِّي وأدفعه بركوبي عليها تشبه الجمل في وثاقة الخلق وهي مكتنزة اللحم تعدو كأنها نعامة تعرض لظليم، قليل الشعر يضرب لونه الي لون الرماد.(2)

وهو بهذا يقدم لنا وصفاً جمالياً منقطع النظير لهذه الناقة .

---

(1) ــ الدرة، مرجع سابق . ص 22 .

(2) ــ انظر : البستاني، فؤاد أفرام .المجاني الحديثة. ج 1. ص 57 ــ 66 .

وكذلك فمن المناظر الحضارية الجمالية أيضاً ــ و التي لفتت انتباه الشعراء الجاهليين ــ منظر السفن السابحة في لُجّة البحر، شبهوا بها ظعنهم ونوقهم السابحة علي صفحة الرمال، وتصوروا في بعض الاحيان الابل سُفناً حقيقية كقول طَرَفَة أيضاً:

كأنَّ حُدُوجَ الَمْالِكِيَّهِ غُدْوَةً خَلايا سَفِين بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ

عَدَوْلِيَّهٌ أَوْ مِنْ سَفِينِ ابْنِ يَامِنٍ يَجُورُ بُهَا الْمّلاحُ طَوراً وَيَهْتَدِي

يَشُقُّ حَبَابَ الَماءِ حَيْزُومُها بها كما قَسَمَ التُّرْبَ الْمَفايِلُ باليَدِ (1)

فكأن مراكب العشيقة المالكية غدوة فراقها بنواحي وادي دد سفن عظام. شبه الشاعر الابل و عليها الهوادج بالسفن العظام ، هذه السفن التي تشبهها هذه الابل من هذه القبيلة أو من سفن هذا الرجل، الملاح يجريها مرة علي استواء واهتداء، وتارة يعدل بها فيميلها عن سنن الاستواء، وكذلك الحداة تارة يسوقون هذه الابل علي سمت الطريق، وتارة يميلها عن الطريق ليختصروا المسافة، وخص سفن هذه القبيلة وهذا الرجل لعظمها وضخمها ثم شبه سوق الابل تارة علي الطريق وتارة علي غير الطريق باجراء الملاح السفينة مرة علي سمت الطريق ومرة عادلاً عن ذلك السمت،كما شبه الشاعر شق السفن الماءَ بشق المفائل التراب المجموع بيده.(2)

إنه يريد جمالية سير النوق في الصحراء وفوق رمالها ، حيث إن هذا الرمل يشبه موج الماء ، والسفينة تشقه ، كما الناقة تشق أمواج وتدرجات الرمال . وإنه لمن العجيب أن نرى من الجاهليين من يصف جمال وسمنة ناقته ..

---

(1) ــ الدرة ، مرج سابق . ص 21 ــ 25 .

(2) ــ المرجع السابق . ص58 ــ 66

كمثل امرئ القيس في قوله :

وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَي مَطِيِّتي فَيَا عَجَباً مِنْ كُورِهَا الُمتَحَمَّلِ

فَظَلَّ الْعَذَارَي يَرْتِمَينَ بِلَحْمِهَا وَشَحْمٍ كهُدَّابِ الدِّمَقْسِ الُمَفَّتلِ(1)

ثم ينتقل الشاعر الي تشبيه الليل بأمواج البحر أولاً و بالجمل ثانياً ،مقتبساً من الحياة المادية الصحراويةالتي يتقلب بها ليقول :

وَليلٍ كمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَي سُدولَهُ عليَّ بأَنْواعِ الُهمُومِ ليبْتَلي

فَقلْتُ لَهُ لَّما تَمَطَّي بصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَناءَ بكَلْكَلِ

أَلا أَيُّها اللَّيْلُ الطَّويلُ أَلا انْجَلي بصُبْحٍ وما الاِصْباحُ مِنكَ بأَمْثَل (2)

أما عنترة بن شداد العبسي، فكثيراً ما كان يوقف ناقته في دار عبلة، ثم يشبهها بقَصْرٍ في جمالها وعظمها وضخم جرمها فيقول :

فَوَقَفْتُ فيها ناقَتِي وَكَأَنَّها فَدَنٌ لاَقْضِيَ حَاجَةَ الُمتَلَوَّم

(المفردات: الفدن: القصر، المتلوم: المتمكث) . (3)

---

(1) ــ المرجع السابق . ص32 .

(2) ـــ المرجع نفسه .ص32 .

(3) ـــ المرجع السابق . ص55 ــ58 .

كما تُعد ناقته الجميلة مُلهمته التي توصله الي محبوبته وابنة عمه فيقول:

هَلْ تُبْلِغَنِّي دَارَهَا شَدَنِيَّة لُعِنَتْ بِمَحْرُومِ الشَّرَابِ مُصَرَّمِ

خَطَّارَةٌ غِبَّ السُّرَي زَيَّافَةٌ تَطِسُ الاكامَ بوَخْدِ خُفٍّ مِيثَمِ

وكَأَنَّما أَقِصُ الاكامَ عَشِيَّةً بقَرِيبِ بَيْنَ المَنْسِمَيْنِ مُصَلَّمِ

تَأْوِي لَهُ قُلُصُ النَّعامِ كما أَوَتْ حِزَقٌ يَمانِيَةٌ لأَعْجَمَ طِمْطِمِ (1)

(1)ـــالمرجع السابق . 55 ــ 58.

قال لبيد بن ربيعة في معلقته عن الناقة بأنها قد اعتادت الأسفار ومرنت عليها وهي في جمالها تشبه الغيمة الصهباء اذ يقول:

بِطَلِيحِ أَسْفَارٍ تَرَكْنَ بَقِيَّة مِنْها فَأَحْنَقَ صُلْبُهَا وَسَنامُهَا

فَلَهَا هِبَابٌ في الزِّمَامِ كأَنَّها صَهْبَاءُ خَفَّ مَعَ الْجَنُوبِ جِهَامُهَا(1)

لكن الشاعرلبيد غيَّر أسلوبه في أواخر معلقته حيث انتقل من الجمال الحسي إلى تصوير الجمال المعنوي للناقة ، فهي التي تملك حالة روحية ومعنوية مرتفعة جعلتها تصارع الموت المحتم وتتغلب على أسبابه ، إنه صراع الحياة مع الموت لأجل البقاء حيث يقول:

أَ فَتِلْكَ أَمْ وَحشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ خَذَلَتْ وَهَادِيَهُ الصِّوَارِ قِوامُهَا

صَادَفْنَ منهَا غِرَّةً فَأَصَبْنَهَا اِنَّ الَمنايَا لا تَطِيشُ سِهَامُها

حتي اِذا يَئِسَ الرُّمَاةُ وَأَرْسَلُوا غُضْفاً دَوَاجِنَ قافِلاً أَعْصامُها

فَلَحِقْنَ وَاعْتَكَرَتْ لها مَدْرِيَّةٌ كالسَّمْهَرِيَّةِ حَدُّهَا وَتَمامُها

لِتَذُودَهُنَّ وَأَيْقَنَتْ اِنْ لم تُذُدْ أَنْ قَدْ أَحَمَّ مِنَ الْحُتُوفِ حِمامُها

فَتَقصَّدَتْ مِنْهَا كَسَابِ فَضُرِّجَتْ بِدَمٍ وَغُودِرَ في الَمكَرِّ سُخَامُها

فَبِتِلْكَ اِذْ رَقَصَ اللَّوَامعُ بالضُّحي وَاجْتَابَ أَرْدِيَهَ السَّرابِ اِكامُهَا

أَقْضِي اللُّبَانَةَ لا أُفَرِّطُ رِيبَةً أَوْ أَنْ يَلُومَ بحاجَهٍ لَوَّامُها(2)

---

(1)ــ البستاني، مرجع سابق . ج1 . ص 155 .

(2)ــ المرجع السابق . ص 174 ــ 182 .

وأما العنصر الثالث من عناصر الجميل في شعر المعلقات فهو المرأة ، رمز الخير والعطاء ، رمز اللهو والدلال ، رمز الحياة والبقاء ، إنها أنشودة الجاهلي ، ورفيقه في حله وترحاله ، فلطالما تصدرت المرأة معلقات الجاهلي ، مقرونة بالطلل ، والحقيقة أن الجاهلي ماذكر الطلل إلا لأجل المرأة ، وإن وقوفه على الأطلال هو وقوف على ذكرياته ومغامراته معها ، وإن مطالعة سريعة في المعلقات لتجعلنا ندرك أن المرأة ـــ رفيقة الرجل وأنيسه في وحشته ـــ شغلت الجاهلي ، فراح يتغزل بها ويصف جمالها في صحرائه الواسعة ، مضفياً على جمالها جمال الموجودات الأخرى ، فهذا عنترة بن شداد يصف براءة محبوبته عبلة ويعدها خصلة من خصال جمالها المعنوي . فيقول :

تُمسِيوَتُصْبِحُ فَوْقَ ظَهْرِ حَشِيَّةٍوَأَبِيتُفَوْقَ سَراةِ أَدْهَمَ مُلْجَمِ

وَحَشِيِّتَسَرْجٌ على عَبْلِ الْشَّوَىنَهْدٍمَرِاكَلُهُ نَبِيلِ الَمحْزِمِ (1)

---

(1) ـــالزوزني ، شرح المعلقات العشر . ص 240

كما نراه تارة أخرى يتحدث عن تعففها ودلالها ويعده من صفات جمالها المعنوي ، حيث إنها تتعفف عن لقائه ، وهذا حياء يحبه عنترة حباً شديداً ، ولطالما وقفت عبلة بفكرها وقولها معه ، تدافع عن فكرة الحرية ، وأن الرجل يقاس بعمله ، لا بثوبه ولونه ، مقارعة أخويها زهيراً وصخراً ، لذلك فعنترة شغف بفكرها وجمال أخلاقها قبل أن يشغف بجمال منظرها ، حيث يقول :

إِنْ تُغْدِفِيدُوني الْقِناعَ فإِنَّنِيطَب بأخْذِالْفَارِسِ الُمستَلْئِمِ

أَثْنِي عَلَيَّبما عَلِمْتِ فَإِنَّنيسَمْحٌمُخَالَقَتِي إِذا لَمْ أُظْلَمِ (1)

وكذلك فعبلة فتاة عذراء ، شديدة الحياء ، خبرتها بالحياة وعالم النساء قليلة ، لذلك نراها مترددة على الدوام ، وهذا التردد سمة من سمات الجمال عندها ، وعنترة أظهر هذا التردد عندما راح يكرر عليها الطلب والسؤال بقوله :

هَلاَ سأَلْتِالَخيْلَ يا ابْنَةَ مَالِكٍإِنْ كُنْتِجَاهِلَةً بِما لَمْ تَعْلَمِي

يُخْبِرْكِ مَنْشَهَدَا لْوقِيعَةَ أَنّنيأَغْشَىالْوَغَى وَأَعِفُّ عِنْدَ الَمغْنَمِ (2)

وبالمقابل فإننا نجد في شعر المعلقات من نظرة لجمال المرأة نظرة حسية ، فحصر جمالها في جانب المتعة التي تقدمها للرجال ..

---

(1) ــ المرجع نفسه ، ص 246

(2)ــ المرج السابق . ص 248 ــ 249 .

ومن هؤلاء الشعراء امرؤ القيس ، حيث صور جمال المرأة جمالاً حسياً بشكل صارخ ، بعيد عن أخلاق العربي حيث يقول :

كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ الْحَوَيْرِثِ قَبْلَهاوَجَارَتِها أُمِّ الرِّبابِبِمَأْسَلِ

إِذَا قَامَتا تَضَوَّعَ المِسْكُمِنْهُمَانَسِيمَ الْصِّبَا جَاءَتْبِرَيَّا الْقَرَنْفُلِ

فَفَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنمِنِّي صَبَابَةًعَلى الْنَّحْرِ حَتَّى بَلَّدَمْعِي مِحْمَلِي

أَلا رُبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّصَالِحٍوَلا سِيمَّا يَوْمٍ بِدَارَةِجُلْجُلِ(1)

ولقد نظر إلى جمال المرأة نظرة إباحية ـــ وقد انفرد بهذه النظرة من بين أقرانه ـــ فيقول :

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخِدْرِخَدْرَ عُنَيْزَةٍفَقَالَتْ لَكَ الْوَيْلاتُإِنَّكَ مُرْجِلي

تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَبِيطبِنَامَعاًعَقَرْتَ بَعيري يَا امْرَأَالقَيْسِ فَانْزِلِ

فَقُلْتُ لَهَا سِيري وأَرْخِيزِمَامَهُوَلا تُبْعِدِيني مِنْ جَنَاكِالْمعَلَّلِ

فَمِثْلِكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُوَمُرْضِعٍفَأَلْهيْتُهَا عَنْ ذِي تَمائِمَمُحْوِلِ

إِذا ما بَكى مَنْ خَلْفِهاانْصَرَفَتْ لُهبِشِقٍّ وَتَحْتِي شِقّها لمُيحَوَّلِ(2)

---

(1) ـــــ الزوزني، شرح المعلقات العشر . ص 33ـ 34 .

(2) ـــــ المرجع السابق . ص 35 ـ 39 .

ومنهم من وجد جمال المرأة في مشيتها وشكلها الخارجي ، من مثل الأعشى الذي يقول :

وَدِّعْ هريرةَ إنَّ الركبَ مُرتحِلُوهَلْ تُطيقُ وداعاً أيُّهـــــــــــــــــــا الرجلُ

غرَّاءُ فرعاءُ مصقولٌ عوارضُهاتمشي الهوينى كما يمشي الوجيُ الوحلُ

كأنَّ مِشيتَها مِنْ بيتِ جارتِها مَرُّالسَّـــــــحابةِ لا ريثٌ و لا عَجَلُ (1)

حيث وجد جمال هريرة في بياض لونها ، وطول شعرها ، وصقل أسنانها ، وهو بهذه النظرة الجمالية يقترب من حسية امرئ القيس لكن دونما إفحاش ، فهو يصف مواضع الجمال في المحبوبة وحسب.ونراه في موطن آخر يتشابه وعنترة بن شداد في نظرته للجمال المعنوي الداخلي إذ يقول :

ليسَتْ كَمَنْ يَكْرَهُ الجيرانُ طَلْعهاو لا تَراها لِسرِ الجارِ تَخْتَتِلُ (2)

فالأعشى يتحدث هنا عن جمال هريرة الداخلي ، فيصفها بالعفاف والطهارة والصفاء ، فهي تحفظ الجيرة ولا تتجسس على الجيران مهما حدث . والغريب أن الأعشى جعل صفة الكسل السلبية مظهراً من مظاهرالجمال ، حيث أراد هنا أمرين : الأول أن هريرة لا تذهب إلا إلى الجيران ، وهذا دليل تأدب وحسن تربية ، ولأمر الثاني أنها مدللة مرفهة في بيت أهلها . يقول الشاعر في هذا المعنى :

يَكادُ يصرَعُهَا لولا تَشَدُدُهَا إذاتقومُ إلى جاراتِها الكَسَلُ (3)

---

(1) ــ شرح المعلقات العشر . ص 314 .

(2)ــ المصدر السابق نفسه . ص 315 .

(3) ــ المصدر السابق نفسه . ص 315 .

وأما طرفة بن العبد البكري فيرى أن المرأة الجميلة يجب أن تشبه الظبي في ثلاثة أشياء : في كحل العينين ، وفي حوة الشفتين ، وفي حسن الجيد . يقول في ذلك :

وفِي الَحيِّ أَحْوَىيَنْفُضُ المرْ دَشادِنٌمُظَاهِرِ سُمْطَيْ لُؤْلؤٍوَزَبَرْجَدِ(1)

كمايعد طرفة الصوت من مظاهرجمال المرأة ، فهو يثني على صوت الجارية المغنية ، فيشبه صوتها بصوت الناقة قائلا :

إِذَا رَجَعَتْ في صَوْتِهَاخِلْتَ صَوْتَهاتَجاوُبَ أَظْآرٍ على رُبَعٍرَدِ(2)

---

(1)ــ الزوزني . شرح المعلقات السبع . ص48

(2)ــ المرجع السابق . ص 58 .

ثالثاً ـــــــ نموذج السامي:

سما : السمو الارتفاع والعلو ، تقول منه : سموت سميت مثل علوت وعليت وسلوت وسليت ؛ عن ثعلب : وسما الشيء يسمو سموا، فهو سام : ارتفع.وسما به وأسماه:أعلاه . ويقال للحسيب وللشريف: قد سما. (1)ويتمثل هذا النموذج في شخصية الشاعر لبيد بن ربيعة العامري ، فقد كان يدعو للخير على الدوام ويغيث الضعيف ، ويدعو لرفع الظلم عن المظلوم ، ولقد اتسم بالصدق ، فنال السمو بما ملك من القيم والخصال الكريمة .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ أَصْدَقَ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ:أَلا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكَادَ ابْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسْلِمَ ".(2)

ولقد كان لبيد بن ربيعة أبو عقيل فارساً شجاعاً وكان عذب المنطق رقيق حواش الكلام وكان مسلماً رجل صدق ، وقد وعمّر عمراً طويلاً وكان في الجاهلية خير شاعر لقومه يمدحهم ويرثيهم ويعد ايامهم ووقائعهم وفرسانهم وكان يطعم ما هبت الصبا وكان المغيرة بن شعبة إذا هبت الصبا قال : أعينوا أبا عقيل على مروته .(3)

ومن مظاهرسمو هذا الشاعر وارتفاع مكانته في قومه أنه وقت الشتاء البارد، والهواء الشديد، ببرده القارس ينحر الجزور ليطعم الناس ،إذ هم الآخرين هي همومه وآلامهم تؤلمه، وفي ذلك يقول :

---

(1)ـ انظر :ابن منظور ،ج7 .

(2) ـ البخاري ، صحيح. 19 . 16037 /4841 .

(3) ـــ الجمحي ، ابن سلام . طبقات فحول الشعراء . ص36 .

وَغَدَاةَ رِيحٍ قَدْ وَزَعْتُوقِرَّةٍقد أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمالِزِمامُها

وَلَقَدْ حَمَيْتُ الحَيَّ تَحْمِلُشِكَّتيفُرْطٌ وِشاحِي إِذْ غَدَوْتُلِجامُها

فَعَلَوْتُ مُرْتَقَباً على ذِيهَبْوَةٍحَرْجٍ إِلَى أَعْلاَمِهِنَّقَتامُها (1)

وكذلك فمن مظاهر السمو لديه أنه يمدح خصومه وأعداءه ، ويعترف بالفضل لهم والقوة والمنعة ، فنراه يصورهم بالأسود قوة وخِلقةً ، دون محاباة ، فيقول :

غُلْبٍ تَشَذَّرُ بالدُخولِ كأنّهاجِنُّ الْبَدِيِّ رَواسِياًأَقْدَامُها

أَنْكَرْتُ باطِلَها وُبؤْتُبِحَقِّهاعِندِي و لم يَفْخَرْ عَلَيَّكِرامُها

وَجزُورِ أَيْسارٍ دَعَوْتُلِحَتْفِهابِمَغَالِقٍ مُتَشابِهٍ أَجْسامُها (2)

والشاعرلبيد لم يكن يحمل همه وحسب ، بل أراه يحمل هموم الفقراء والمساكين أيضاً ، فنراه يبحث عنهم في ليل الشتاء القارس ليطعمهم ويخفف عنهم مصابهم ،فصنع لهم جفاناً فيها المرق وللحم الكثير ،وفي ذلك يقول :

وُيكَلِّوُنَ إِذَا الرِّيَاحُتَناوَحتْخُلُجاً تُمَدُّ شَوارِعاًأَيْتامُها

إِنّا إِذا الْتَقَتِ المجامِعُلَمْ يَزلْمِنّا لزِازُ عَظِيمَةٍ جَشَّامُها

فَضلاً وذُو كرمٍ يُعِينُ علىالنَّدىسَمْحٌ كَسُوبُ رَغائِبٍ غَنّامُها(3)

---

(1) ــ الزوزني، شرح المعلقات العشر . ص 185 .

(2) ــ المرجع السابق ، ص 188 .

(3) ــ المرجعة نفسه ،ص 190 .

وكذلك فالشاعر عمرو بن كلثوم سمت نفسه عندما رفض الظلم والاستعباد والخضوع للملك عمرو بن هند بقوله ــ مستهزئاً ــ: نحن لسنا خدماً لأمك أيها الرجل ، فيقول :

تَهَدَّدْنا وَأَوْعِدْنَارُوَيْداًمَتى كُنّا لأُمِّكَمَقْتَوِينا (1)

فنفس الشاعر تسمو عن الدنايا ، وتميل لكسب العزة والمحامد ، فهو يرفض أن يكون إلا سيداً ، وقومه أفضل السادة .

---

(1) ــ المرجع السابق . ص 214 .

رابعاً ـــــــــ نموذج النبيل:

النُّبْل، بالضم: الذَّكاءُ والنَّجابة، وقد نَبُلَ نُبْلاً ونَبالة وتَنَبَّل، وهو نَبِيلٌ ونَبْلٌ، والأُنثى نَبْلة، والجمع نِبالٌ، بالكسر، ونَبَلٌ، بالتحريك، ونَبَلة.والنَّبِيلة الفَضِيلة،وفرسٌ نَبِيل المَحْزِم: حَسَنه مع غلظ؛ قال عنترة: وَحَشيّتي سَرْجٌ على عَبْل الشَّوَى، مهدٍ مراكِلُهُ، نَبِيلِ المَحْزِمِ.
(1)والنُبْل: النَبالة والفضل.(2) ، ويقال للفَضْل في الإنسان نُبْل (3)

وخير من يمثل هذا النموذج في المعلقات هو الفارس النبيل عنترة بن شداد العبسي،لأنه صاحب الفضل الكبيرعلى قومه،فهو الحامي للقبيلة والمدافع عن شرفها وحياضها.وتظهرهذه الصفة جلية في شعره عندما يقول:

فَإِذا شَرِبْتُفإِنَّنِي مُسْتَهْلِكٌمَالي وعِرْضِيوافِرٌ لَمْ يُكْلَمِ

وإِذا صَحوْتُفَما أُقَصِّر عن نَدًىوكما عَلِمْتِشَمَائِلي وتَكَرُّمي (4)

وعنترةبن شداد العبسي نبيل في قومه ، ونبيل في حبه ونبيل في حربه ، وأما نبله في قومه فالشاعر يعد عرض قبيلته هو عرضه ولا يسمح لأحد بالتعدي عليه ، وإذا حصل هذا فالحرب هي الفيصل بين عنترة ومن يتعرض لعرضه .يقول عنترة :

---

(1)ـــ انظر: البا حث العربي، لسان العرب.

(2) ـــ الباحث العربي ، الصحاح في اللغة .

(3) ـــ المرج نفسه ، مايبس اللغة .

(4) ـــ الزوزني ، شرح المعلقات العشر . ص 247 .

وَلَقَدْخَشِيتُ بأَنْ أَمُوتَ وَلَمْ تَدُرْلِلْحَرْبدَائِرَةٌ على ابْنَي ضَمْضَمِ

الشَّاتِميْعِرضِي وَلَمْ أَشْتِمْهُماوَالْنَّاذِرَيْنِ إذا لَمَ الْقَهُمادَمي

إِنْ يَفْعَلافَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَاهُمَاجَزَرَالسِّبَاعِ وَكُلِّ نَسْرٍ قَشْعَمِ(1)

وأما نبله في الحرب ، فعنترة صاحب فضل ومعروف حتى في قلب المعارك ، وهو لا ينسى أصحابه من المقاتلين القليلي الخبرة ، حيث إنهم يتقون به من ضربات السيوف وتصويبات الرماح ورمي السهام ، وهو فرح بذلك غير متأفف منه ، بل كان فرحاً ويشعر بأنه واجب عليه حماية من معه حتى في أرض المعركة فيقول :

في حَوْمَةِالَجرْبِ الّتي لا تشْتَكيغَمراتِهَاالأبْطالُ غَيْرَ تَغَمْغُمِ

إِذْ يَتَّقُونَبي الأَسِنَّةَ لم أخِمْعنها وَلكِنِّيتَضَايَقَ مُقْدَمي

ولَقَدْ شَفَىنَفْسي وَأَذْهَبَ سُقْمَهَاقِيلُالْفَوارِسِ وَيكَ عَنتَرَ أَقْدِمِ(2)

وأما نبله في الحب ، فعنترة قد أحب عبلة حباً صادقاً لا غواية فيه ولا كذب ، بل في حبه الكرم والعفاف والخلق الرفيع ، حتى إنه عندما خاطب المحبوبة ، نراه يستحي أحياناً من ذكر اسمها ، خوفاً عليها ، وتكريماً لحبه لها ، فهي لها منزلة غالية في قلبه .

---

(1) ــ المرجع السابق . ص 257 .

(2) ــ المرجع نفسه . ص 254 ــ 255 .

يقول :

وَلَقَدْنَزَلْتِ فلا تَظُنِّي غَيْرَهُمِنِّيبِمَنْزِلَةِ الُمحَبِّ الُمكْرَمِ (1)

نعم إنه النبل الذي يجعل قلب صاحبه صفحة بيضاء لا غبار عليها ، بل كلها الصفاء .

---

(1) ــ المرجع نفسه . ص 236 .

الفصل الثاني:الثنائيات السّلبيّة

المبحث الأول: "القبيح، الوضيع، الهزليّ".

أولاً ـــــــ القبيح :

قبح (لسان العرب)القُبْحُ: ضد الحُسْنِ يكون في الصورة والفعل.القُبْحُ (القاموس المحيط) القُبْحُ، بالضم: ضِدُّ الحُسْنِ، وقَبَحَهُ الله: نَحَّاهُ عن الخَيْرِ، فهو مَقْبوحٌ.

لقد كان مفهوم القبح في أغلب الفترات يعرف على أنه نقيض مفهوم الجمال. و لم يحدث فيتاريخ تطور الدراسات المتعلقة بعلم الجمال أن خصص لدراسة مفهوم القبح أي معالجةمطولة أو معمقة له. من المؤكد أن أي تاريخ مفترض للجمال لا بد أن يتقاطع ويشترك فينقاط عديدة مع تاريخ مقابل له هو تاريخ القبح. فمن ناحية أولى، لا بد لنا منالتأكيد على حقيقة تاريخية هي أن الذائقة الجمالية لعموم الناس في عصر ما لا بد أنتتوافق في كثير من ملامحها مع الآراء والأفكار الجمالية التي ينتجها الفلاسفةوالمنظرون في نفس العصر حول مفهوم وخصائص الجميل في الفن والحياة. لنفترض أن زواراًمن كوكب آخر وفدوا بطريقة ما إلى كوكب الأرض وقاموا بزيارة معرض للفن التشكيليالحديث. إذا شاهد أحد أولئك الزوار الغرباء لوحة لبابلو بيكاسو فيها رسم بمعالجةخاصة لوجوه نساء وسمع من زوار المعرض الأرضيين تعليقات تفيد أن هذه الوجوه في لوحةبيكاسو جميلة، فإنه بالتأكيد سيعتقد مخطئاً بأن النساء الجميلات والمثيرات للرغبةبالنسبة للرجال الأرضيين في حياتهم اليومية يطابقن في أشكالهن تلك الكائنات في لوحةبيكاسو. لكن هذا الزائر الفضائي نفسه سيغير رأيه حول مقاييس جمال المرأة الأرضيةإذا ما شاهد عرضاً للأزياء أو مسابقة لاختيار ملكة جمال العالم حيث سيشهد احتفاءبنموذج مغاير للجمال.

لكن للأسف نحن لا نستطيع تكرار تجربة الزائر الفضائي عندماتحاول أن نستكشف مفاهيم الجمال والقبح في الأزمنة الماضية، وذلك لأن كل ما تبقى لنامن تلك الحقب الغابرة هو فقط أعمال فنية. وليس هناك أي وثائق أو نصوص تخبرنا عماإذا كانت تلك الأعمال تهدف إلى تحقيق متعة جمالية أم إثارة الخوف أو الصدمة أوتقديم رؤيا مغايرة لمقاييس الجمال في الحياة اليومية. ومن خلال التجربة الواقعيةنرى أن قناعاً يستخدمه الأفارقة في طقوسهم مثلاً لا يثير إلا الرعب بالنسبة لمتأملغربي، بينما يمثل هذا القناع بالنسبة للأفريقي رمزاً جمالياً يتعلق بثقافته. وفيالمقابل، فإن المشهد الدموي العنيف لصلب السيد المسيح قد لا يحمل أي بعد جماليبالنسبة لبشر لا يؤمنون بالديانة المسيحية، بينما يمثل هذا المشهد ذاته صورة تثيرمشاعر عميقة وجوهرية بالنسبة لمن يؤمن بالديانة التي توظف هذا المشهد كرمز روحي. (1)

و يختلف تناول الشعراء الجاهليين من أهل المعلقات لهذه المسألة ، فمنهم من كانت نظرته للقبيح حسية بصرية ، ومنهم من كانت نظرته معنوية روحية ، وسأتناول بشيء من التفصيل نظرة أصحاب المعلقات تجاه القبح والقبيح ، ومظاهره في شعر كل منهم .

أولاً ـــــــ القبح الحسي : ويمثله :

1 ــ الأعشى :

إن مظاهرالقبيح لدى الأعشى كثيرة منها خروج الفتاة كثيراً من بيت أهلها دون علمهم بذلك ، والتجسس على الجيران ..

---

(1) ــ إيكو ، أمبرتو. جماليات القبح . مقال . ملحق ثقافي . الثورة يومية سياسية . مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر. 7/ 10 / 2008 م .

حيث يظهرفي قوله :

ليسَت كَمَنْ يَكرَهُ الجيرانُ طَلْعَتَهَاو لا تَراها لِسِرِ الجارِ تَخْتَتِلُ (1)

وكذلك فمن مظاهر القبيح عنده شرب الخمر لأنه يفقد صاحبه الصواب والوعي فيقول :

فقُلت لِلشربِ في دَرْنا و قد ثَمِلواشيموا و كيفَ يشيمُ الشَّاربُ الثَّمِلُ(2)

والأعشى يرى أن القتل من مظاهر القبيح لأنه يفقد الأنسان حياته ومتعته فيها ، فيقول :

إنا نقاتِلُهم حتَّى نُقَتِّلُهم عِندَاللِّقاءِ و إنْ جاروا و إنْ جَهِلوا (3)

ويقول في موضع آخرمبيناً أثر هذا العمل القبيح :

لَئِن قَتَلْتُم عميداً لم يَكن صَدِدَاًلَنَقْتُلَنَّ مِثلهُ مِنكُم فَنَمْتَثِلُ

لئن مُنيتَ بنا عن غبِّ معركةٍلا تَلْفِنا عن دماءِ القومِ ننتقلُ (4)

---

(1)ـــ الزوزني ، شرح المعلقات العشر ، ص315 .

(2)ـــ نفس المرجع . ص 318 .

(3)ـــ المرجع السابق . ص 319 .

(4)ـــ نفس المرجع . ص 320 .

2 ــ زهير بن أبي سلمى :

إنَّ حكمة زهيرجعلته ينظر بعمق أكثر لمفهوم القبيح ، حيث نراه وجد الحرب أمراً قبيحاً لما تجره من ويلات على أهلها ، ولما تتركه من خراب في النسل والحرث فيقول :

وَمَا الحَرْبُإلا ما عَلِمْتُم وَذُقْتُمُوماَ هُوعَنْهَا بالحَديثِ الُمرَجَّمِ

مَتَىتَبْعَثُوها تَبْعَثُوها ذَميمَةًوَتَضْرَ إذاضَرَّيْتُمُوها فَتَضْرَم

فَتَعْرُكُكُمْمعرْكَ الرّحى بِثِقالهاوَتَلْقَحْكِشَافاً ثمَّ تُنْتَجْ فَتُتْئِمِ (1)

3 ـــ عبيد بن الأبرص :

حيث اعتبر الشيب مظهراً من مظاهر القبح للرجال ، وخاصة الشباب منهم ، والشاعر هنا وضع الشيب بمساواة الموت والهلاك ، وهذا قياس صعب على ذوي البصيرة السليمة ، إذ مهما كان الشيب معيباً لمنظر المرء، فإنه لا يعادل الموت في المصاب والفجيعة . يقول :

إمَّـــا قَتيـــلاً وإمَّـــا هَلْكـــاًوالشَّيْبُ شَـــيْنٌ لِمَنْ يَشِـــيبُ (2)

4 ــ طرفة بن العبد البكري :

ونذهب إلى موضع آخر في معلقته لنجد طرفة بن العبد البكري يقبح الخمر والشراب ، لأنها جعلت قبيلته تجافيه ، وتطرده ، فشربها يجعله فاقداً للعقل ، غير مدرك لما يقول أو يفعل ، لذلك فالقبيلة نفته . فيقول :

---

(1)ـــنفسالمرجع . ص 144 .

(2) ــ مرجع سابق ، ص 333

وَمَا زالَ تَشْرابيالْخُمورَ وَلَذَّتي وَبَيْعِي وَإِنْفَاقي طَريفيوَمُتْلَدِي

إِلى أَنْ تَحامَتْنيالْعَشيرَةُ كُلّهَا وَأُفْرِدْتُ إِفْرَادَالْبَعِيرِ الُمعَبَّد (1)

5 ـــــــــ عمرو بن كلثوم :

كما عد الشاعر الحرب والقتال أمراً قبيحاً ، لنتائجها المدمرة والغير جيدة ، حيث إن الحرب تصيب الصالح والطالح ، وتجلب الحزن والشر والويلات ، إذ لا سعادة تجلبها ، بل الحزن والشرور. يقول :

مَتَى نَنْقُلْ إِلى قَوْمٍرَحَانايَكُونُوا فِي اللِّقَاءِ لَهاطَحِينا

يَكُونُ ثِفَالُهَا شَرْقِيَّنَجْدٍوَلَهْوَتُها قُضاعَةَأَجْمَعينا(2)

---

(1) ــ الزوزني، ص110 ــ 111 .

(2)ــــنفس المرجع ،ص 208 .

ثانياً ـــــــ القبح المعنوي : ويمثله :

1 ــ الحارث بن حلزة اليشكري : وللحارث وجهة نظر مختلفة عن وجهة نظر الأعشى تجاه القبح والقبيحفهو يرى أن من مظاهر القبح الغيبة والكراهية ويظهرذلك في قوله :

إِنَّإِخْوَانَنَا الأَرَاقِمَ يَغْلُونَ عَلَيْنا، فيقِيلِهِمْ إِحْفَاءُ

يَخْلِطُونَالْبَرِيءَ مِنَّا بذِي الذَّنْـــــبِ وَلايَنْفَعُ الْخَلِيَّ الْخَلاءُ (1)

وتعد الخيانة والغدر من مظاهر القبح والقبيح كما في قوله:

أَمْ جَنَايَابَنِي عَتيقٍ فَإِنَّامِنْكُمُ إِنْغَدَرْتُمْ بُرَآءُ (2)

2 ــ النابغة الذبياني :

وللنابغة وجهة نظر حولمفهوم القبيح فها هو يرى القذف من القبح المعنوي ، وهو في رأيه يسبب الشقاء والألم ن وإن الله سيعاقب من يقذف الناس ظلماً ، فيقول :

إلاّ مقالة أقوامٍ شَقيتُ بها كانَتْ مقالَتُهُمْ قَرْعًاعلى الكَبِدِ

إذًا فَعاقبني ربِّي مُعاقبةً قَرَّتْ بهاعَينُ منْ يأتيكَ بالفَنَدِ

هذا لأبرأ مِنْ قَوْلٍ قُذِفْتُ بِهِ طارَتْ نَوافِذُهُ حَرًّا على كَبِدي

لا تَقْذِفْني بِرُكْنٍ لا كَفاءَ لهُ وإنْ تَأَثَّفَك الأعداءُ بالرَّفَدِ (3)

---

(1) ــ الزوزني ، شرح المعلقات العشر، ص 267 .

(2) ــ نفسالمرجع ، ص 282 .

(3) ــ المرجع السابق . ص 301 .

كما يرى أن الخوف مقبوح ومذموم لأنه يُنزِل على صاحبه الشدة والهم وتوقع الأسوأ على الدوام ، ويظهر هذا عندما يقول :

يظَلُّ مِن خَوفِهِ المَلاَّحُ مُعتَصِمًا بالخَيْزرانَةِ بَعدَ الأيْنِ والنَّجَدِ(1)

وبهذا نرى أن القبح عند النابغة الذبياني شيء معنوي . ولقد قدم الشاعر الجاهلي القبيح إما عبر ما هو حسي وظاهر للبصر كما في الحرب وإما من خلال ما هو روحي .(2)

3 ــ امرؤ القيس :

ونظرته للقبيح تشبه نظرة الحارث بن حلزة اليشكري ، حيث نظرللقبيح نظرة معنوية ، فرأى أن الخيانة هي القبح بعينه ، حيث شرح آثارهاعلى سلوك صاحبها ، من سوء الأخلاق ، والتفكك الأسري ، والخيانة الزوجية والتفكك الاجتماعي فيقول:

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخِدْرِخَدْرَ عُنَيْزَةٍفَقَالَتْ لَكَ الْوَيْلاتُإِنَّكَ مُرْجِلي

تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَبِيطبِنَامَعاًعَقَرْتَ بَعيري يَا امْرَأَالقَيْسِ فَانْزِلِ

فَمِثْلِكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُوَمُرْضِعٍفَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمائِمَمُحْوِلِ

إِذا ما بَكى مَنْ خَلْفِهاانْصَرَفَتْ لَهُبِشِقٍّ وَتَحْتِي شِقّها لمَيُحَوَّلِ(3)

---

(1) ــ المرجع السابق . ص 302 .

(2)ــ العساف ، عبدالله خلف . الجميل والقبيح في الشعر الجاهلي . مقالة . العدد / 1288 / الخميس 26 ربيع الثاني 1424 هــ .

(3)ــ الزوزني ، شرح المعلقات العشر . ص 38 .

ومن مظاهر القبيح التسلل سراً لديار العشيقة ،وفي هذا خيانة واضحة للأعراف والعادات العربية والشيم البدوية وظهر ذلك في قوله:

تجاوَزتُ أَحْراساً إِلَيْهاوَمَعْشراًعلّي حِراصاً لَوْ يسرُّونَ مقتَلي(1)

وشتمالناسوالتعرضلهميعدمنأصنافالقبحالمعنويالمنبوذ،ويقولزهيرفيذلك :

وَمَنْيَجْعِلِالمعْروفَمِندُونِعِرْضِهِيَفِرْهُوَمَنْلايَتَّقِالشَّتْمَيُشْتَمِ(2)

---

(1) ــ المرجع السابق . ص 45 .

(2) ـــمرجعسابقص 152

ومن مظاهر القبيح في نظره الجحود ونكران الجميل والمعروف للأهل والعشيرة حيث يقول زهير بن أبي سلمى:

وَمَنْ يَكُ ذافَضْلٍ فَيَبْخَلْ بفَضلِهِعلى قَوْمِهِيُسْتَغْنَ عنْهُ وَيُذْمَمِ

وَمَنْ يُوفِ لايُذْمَمْ وَمن يُهدَ قلبُهُإِلىمُطْمَئِنِّ الْبرِّ لا يَتَجَمْجمِ

ومَنْ يَجْعَلِالمَعْرُوفَ في غَيْرِ أَهْلِهِيَكُنْ حَمْدُهُذَمّاً عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ (1)

ولقد اعتبر الشاعر أن الكذب عيب وقبح كبير ، وأن الكذاب سيفضحه الله

ولو بعد حين فيقول في ذلك :

وَمَهْمَاتَكُنْ عِنْدَ امْرِىءٍ مِنْ خَلِيقَةٍوَإِنْ خَالَهاتَخْفَى على النّاسِ تُعْلَمِ (2)

والقتل مظهر من مظاهر القبيح حيث يقول الشاعر :

فَقَضَّوامَنايا بَيْنَهُم ثمَّ أَصْدَروااِلى كلإِمُسْتَوْبِلٍ مُتَوَخِّمِ

لَعَمرُكَ ماجَرَّتْ عَلَيْهِمْ رِمَاحُهمْدَمَ ابْنَىهيكٍ أَوْ قَتِيلِ الُمثَلّمِ

وَلا شَاركَتْفي الَموْتِ فِي دَمِ نَوْفَلوَلا وَهَبمِنْها وَلا ابنِ الُمَخَّزمِ (3)

---

(1) ــ المرجع السابق ص 151

(2) ــ نفس المرجع ص 154

(3) ــ المرجع السابق ص 148

4 ــ عبيد بن الأبرص:

يتشابه الشاعران عبيد بن الأبرص وزهير بن أبي سلمى في نظرتهما للقبيح ، فكما وجد زهير الكذب قبيحاً ، فقد وجده صاحبنا عبيد كذلك ، يقول :

والمَرْءُ ما عاشَ في تَكْذيبٍطُــولُ الحَيـــــاةِ لــهُ تَعْــذيبُ (1)

وكذلك فالشاعر عبيد يعد طول الأمل في الدنيا مقبوح ، لأن مصير الكائنات الفناء ، ولا يبقى شيء على حاله أبداً . فيقول :

فكُــلُّ ذي نِعْمــةٍ مَخلــوسٌوكُــلُّ ذي أمَــلٍ مَكــذوبُ

فكُــلُّ ذي إبِــلٍ مَــوْروثٌوكُــلُّ ذي سَــلْبٍ مَسْــلوبُ

فكُــلُّ ذي غَيْبــةٍ يَــؤوبُوغــائِبُ المَــوْتِ لا يَغــيبُ (2)

.

---

(1)ــ الزوزني ، شرح المعلقات العشر ، ص 331 .

(2)ــ نفس المرجع ، ص 330 .

5ــ طرفة بن العبد البكري:

لقد انفرد طرفة من بين أصحاب المعلقات بنظرته للقبيح ، عندما اعتبر أن الهم والغم من مظاهر القبيح ، لما يجلبه على بني البشر من إرهاق وتعب نفسي ، يقلق مضجعه ، ويقض راحته . يقول :

وَإِنِي لاُ مْضِي الَهمَّعِنْدَ احْتِضَارِهِبِعَوْجَاءَ مِرْقَالِتَرُوحُ وَتَغْتَدِي(1)

كما يعد طرفة الخوف مظهرقبح غير مرغوب فيه لدى الجاهليين ، لما يسببه للنفس من قلق واضطراب يجعلها حزينة وترتقب الشر والموت من كل صوب وحدب . فيقول :

وَجاشَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُخَوفْاً وَخاَلهمُصَاباً وَلَوْ أمْسَى علىغيرِ مَرْصَدِ(2)

---

(1) ــ الزوزني،شرح المعلقات العشر ، ص 95 .

(2)ــ نفس المرجع، ص 107 .

والقذف مظهر قبيح رفضه العرب منذ الجاهلية ، لما يجلب من خلافات ومشاكل للمرء بين قومه . يقول الشاعر طرفة :

وإِنْ يَقذِفُوا بالقذعِعِرْضَك أَسْقِهِمْبكَأْسِ حِيَاضِ الموتِ قبلَالتهدُّدِ

بِلاَ حدَثٍ أَحْدَثْتُهُو كَمُحْدَثٍهِجائي وقَذْفِي بالشَّكَاةِومُطْرَدِي(1)

6ــ عمرو بن كلثوم :

من مظاهر القبيح في معلقة الشاعرعمرو بن كلثوم الخيانة ، وقد أشار إليها في صلب معلقته بقوله :

قِفِي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَاظَعِينانُخَبِّرْكِ الْيَقِينَوَتُخْبِرِينا

قِفِي نَسْأَلْكِ هَلْأَحْدَثْتِ صِرْمًالِوَشْكِ الْبَيْنِ أَمْخُنْتِ الْأَمِينَا(2)

---

(1)ــ المرجع السابق ، ص 117 .

(2)ــ نفس المرجع ، ص 202 .

ومن المظاهر المعنوية القبيحة الجهل ، حيث هو علة كل داء . يقول الشاعر :

أَلا لا يَجْهَلَنْ أَحَدٌعَلَيْنَافَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِالَجاهِلِينا (1)

وصور القبيح مختلفة حسب كل حال ، فالشاعر اعتبر الوشاية أمراً قبيحاً جداً ، إذ ليست من محاسن الأخلاق ، بل هي السوء كله . يقول :

بأَيِّ مَشِيئَة عَمْرَو بْنَهِنْدٍتُطيع بِنا الْوُشَاةَوَتَزْدَرِينا

تَهَدَّدْنا وَأَوْعِدْنَارُوَيْداًمَتى كُنّا لأُمِّكَمَقْتَوِينا (2)

والذل حيثما حل يبقى من مظاهر القبح والثبور . يقول الشاعر :

إِذَا مَا الَملْكُ سَامَالْنَّاسَ خَسْفاًأَبَيْنا أَنْ نُقِرَّالذُّلَّ فِينا(3)

7 ــ عنترة بن شداد العبسي :

إن عنترة بن شداد العبسي لطالما عانى من الظلم من أقربالناس إليه ؛من أبيه وقبيلته ، لذلك فقد كره الظلم ، وشب على هذا ، واعتبر الظلم عملاً قبيحاً ، لأنه يسلب الحقوق من أهلها ، ويبدل الحق باطلاً ، لذا نرى عنترة في معلقته يذم الظلم وقبحه ليقول :

وَإِذَاظُلِمْتُ فَإِنَّ ظُلْمِي بَاسِلٌمُرٌّمَذَاقَتُهُ كَطَعْمِ الْعَلْقَمِ (4)

---

(1) ــ المرجع نفسه ، ص 213 .

(2) ــ نفس المرجع ، ص 214 .

(3) ــ نفس المرجع ، ص 224 .

(4) ــ المرجع نفسه ، ص 246 .

وعنترة من أشد الناس حرصاً على العِرض ، فهو يمثل شرف القبيلة ، وأخلاق الرجال ، لذلك نراه يحرص عليه ويخاف من هتكه ، ويعتبر هتك العرض من الأمور القبيحة التي يجب الحذر منها على الدوام . يقول :

فَإِذا شَرِبْتُفإِنَّنِي مُسْتَهْلِكٌمَالِي وعِرْضِيوافِرٌ لَمْ يُكْلَمِ

وإِذا صَحوْتُفَما أَقَصِّر عن نَدًىوكما عَلِمْتِشَمَائِلِي وتَكَرُّمِي(1)

وإن شتم العرض مسألة خطرة في نظر عنترة ، ومن يشتم العرض يستحق الموت المستعجل ، فالعرض يساوي الحياة كما نفهم من شعرعنترة بن شداد الفارس البطل الشهم ، الذي أبت أخلاقه أن يتعرض لشتم الآخرين ، من يشتمه يلاقي الموت المحتم .

يقول عنترة :

الشَّاتِميْعِرضِي وَلَمْ أَشْتِمْهُماوَالْنَّاذِرَيْنِ إِذا لَمَ الْقَهُمادَمي

إِنْ يَفْعَلافَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَاهُمَاجَزَرَالسِّبَاعِ وَكُلِّ نَسْرٍ قَشْعَمِ(2)

وعنترة يعد الدناءة أمراً قبيحاً ، كما في قوله :

يُخْبِرْكِ مَنْشَهَدَا لْوقِيعَةَ أَنَّنيأَغْشَىالْوَغَى وَأَعِفُّ عِنْدَ الَمغْنَمِ(3)

---

(1) ــ المصدر السابق نفسه . ص 247 .

(2) ــ المصدر السابق نفسه . ص 257 .

(3) ــ المصدر نفسه . ص 249

8 ــ لبيد بن ربيعة العامري :

لقد نظرلبيد الشاعر المجرب طويل العمر ، المجرب في الحياة إلى القبح ، فوجد أن من مظاهره الحسد ، الذي يقتل صاحبه دون فائدة ترجى ، والحسد يفسد العلاقات . يقول الشاعر :

وهُمُ الْعَشِيرَةُ أَنْبُيَطِّىْءَ حاسِدٌأَوْ أَنْ يَميلَ مَعَ الْعَدُوِّلِئَامُها (1)

وهذه النظرة تعد جديدة وانفرد بها عن بقية شعراء المعلقات .

هذا هو القبيح ، تلك نظرة العرب للقبح والقبيح في شعر المعلقات ، التي حوت أفصح شعرهم وأعلاه مترلة ، وأرفعه ذوقاً .

.

(1) ــ الزوزني ، شرح المعلقات العشر ، ص 193 .

ثانياً ــ الوضيع:

وضع (لسان العرب)وَضِيعٌ، وهو ضِدُّ الشريف،وضع (الصّحّاح في اللغة)والوَضيعُ أيضاً: الدنيء من الناس.(القاموس المحيط)الوَضيعُ: المَحْطُوطُ القَدْرِ.

ثم من هو الوضيع؟،اليس هو ،الذي يمدح الملوك ويمسح جزمهم بلغة هذا العصر منأجل المال والسلطة.(1)

والوضيع من يمدح الملوك والأمراء ويتمسح بهم رغبة في التكسب والمال والشهرة ، غير مهتم بأخلاق العربي ، أو صفات الجاهلي ن همه الأول والأخير كسب المال ، والتقرب من بلاط السلاطين والملوك والأمراء ن لينال حظوة لم ينلها غيره من الشعراء .

وإن من يمثل هذا النموذج من شعراء المعلقات لهو النابغة الذبياني ، شاعر البلاطين ، رغم قوة شعره ، وتمكنه فيه ، إلا أنه أول من تكسب بالشعر في عصره ن ولقد كان من الفروض في الشعر ، وهو فن دقيق رفيع من فنون الأدب الإنساني ألا يكون أداة للتكسب والسؤال ، وكان من المفروض على الشاعر أن يمدح قوماً أو شخصاً إقراراً بفضله ، أو شكراً على نعمة ، أو فخراً أو إعجاباً بنباهة الممدوح ، أما النابغة فلم يمتدح غالباً سوى الملوك . (2)

---

(1) ــ حسين ، إقبال قاسم . مقال: من هو الشريف ومن هو الوضيع ؟.العدد / 4234 / ، 1/2/ 2011 .

(2) ــ الزوزني ، شرح المعلقات العشر ، ص 288 .

ومثاله النابغة الذبياني يمدح النعمان بن المنذر ، وقد أجاد في تعظيم ملكه حين يقول:

ولا أرَى فاعِلاً في النَّاس يُشبِهُهُ ولاأُحاشِي مِن الأقْوَامِ من أحَدِ

إلاّ سُليمانَ إذ قالَ الإلهُ لهُ قمْ في البريَّةِ فاحْدُدْها عنِ الفَنَدِ

وخيِّسِ الجِنَّ إنّي قد أَذِنْتُ لهمْ يَبْنُون تَدْمُرَ بالصُّفَّاحِ والعَمَدِ (1)

ويصف كرم النعمان فيقول :

فما الفُراتُ إذا هَبَّ الرِّياحُ لهُ تَرمي أواذيُّهُ العبْرَينِ بالزَّبَدِ

يَمُدُّهُ كلُّ وادٍ مُتْرَعٍ لَجِبٍ فيهِ رِكامٌ من اليَنْبوتِ والخَضَدِ

يظَلُّ مِن خَوفِهِ المَلاَّحُ مُعتَصِمًا بالخَيْزرانَةِ بَعدَ الأيْنِ والنَّجَدِ

يومًا بِأجْوَدَ منهُ سَيْبَ نافِلَةٍ ولا يَحُولُ عَطاءُ اليومِ دونَ غَدِ (2)

فالوضاعة جعات الشاعر يترك الذوق الشعري ويجري وراء ذوق الملوك والسلاطين وهواهم ، ولو أنه مدح العامة من الناس لخفف عنه ، لكنه أهملهم ومدح الملوك ، فثبتت عليه الوضاعة .

---

(1) ــ المرجع السابق . ص 289 .

(2) ــ نفس المرجع .

ثالثاً ــ الهزلي:

(القاموس المحيط)الهَزْلُ: نَقِيضُ الجِدِّهزل .(لسان العرب)الهَزْل: نقيض الجِدّ،

ويمثل النموذج الهزلي العابث الشاعر طرفة بن العبد البكري ، الشاعر المظلوم ، الذي ظلمه أول من ظلمه عماه ، فقد عبثا بماله ورزقه ، وقد ضيقا عليه ، وأساءا تربيته ، لذلك ليس غريباً أن يميل هذا الإنسان إلى اللهو والاستمتاع بملذات الحياة والشرب المفرط ، حيث أسرف إسرافاً كبيراً ، لدرجة أن قبيلته طردته ونفته . يقول في ذلك :

وَمَا زالَ تَشْرابيالُخْمورَ وَلَذَّتيوَبَيْعِي وَإِنْفَاقي طَريفيوَمُتْلَدِي

إِلى أَنْ تَحامَتْنيالْعَشيرَةُ كُلّهَاوَأُفْرِدْتُ إِفْرَادَالْبَعِيرِ الْمعَبَّدِ(1)

فقسوة الحياة دفعت الشاعر للعبث واللهو ودخول عالم الحوانيت ، ومرافقة المشردين من الناس في الخمارات الكثيرة المترامية هنا وهناك ، يسلون أنفسهم ، ويمضون أوقات فراغهم الطويل الممل بالاستماع للجواري والقيان،والتلذذ بشرب الخمور في الليالي الطوال.يقول:

فَإِنْ تَبْغِنِي في حَلْقَةِالقَوْمِ تلِقَنيوَإِنْ تَلْتَمِسْني فيالَحْوَانيتِ تَصْطَدِ

نَدَامايَ بيضٌ كالنجوموَقَيْنَةٌتَرُوحُ عَلَيْنَا بينَ بُرْدٍوَمَجْسَدِ

رَحيبٌ قِطَابُ الَجْيْبِمنْهَا رَقِيقةٌبِجَسِّ النَّدامَى بَضَّةُالْمتَجَرَّدِ

إِذَا نَحْنُ قُلْنَاأَسْمِعِينا انْبَرَتْ لَنَاعلى رِسْلِها مَطْرُوقَةً لمتَشَدَّدِ(2)

---

(1) ــ الزوزني، شرح المعلقات العشر ، ص 82 .

(2) ــ نفس المرجع ، ص 108 ــ 110 .

المبحث الثاني: "الرّذيل، نموذج المرأة السّلبيّة "

أولاً ــ الرذيل :

رذل (لسان العرب)الرَّذْل والرَّذِيل والأَرذل: الدُّون من الناس، وقيل: الدُّون في مَنْظَره وحالاته، وقيل: هو الدُّون الخَسيس،وقيل:هو الرَّديء من كل شيء.الرَّذْلُ (القاموس المحيط)الرَّذيلَةُ:ضِدُّ الفَضيلَةِ.

ومن مظاهر الرذيل ما بينه الأعشى في معلقته وهو الفساد والإفساد،حيث يقول :

وإن الحسد والسحر من الشرور غير المرئية ، والتي تتساوى مع الشرور المرئية ، وإن كانت أدواتها غاية في اللطف والعنف في آن معاً . (2)

ولذلك يعد الأعشى الحقد والغيظ والحسد من مظاهر الرذيلة فيقول :

---

(1) ــ المرج السابق . ص 314 .

(2) ــ الشعراوي ، محمد متولي . بين الفضيلة والرذيلة . 2002 م . دار القلم. بيروت . ص 23 .

(3) ـــالزوزني ، شرح المعلقات العشر ، ص 318 .

ومن مظاهر الرذيلة المذمومة ، الاختيال والكبر والفخر ، ويظهر هذا الجانب أيضاً لدى الشاعر عمرو بن كلثوم في معلقته ، حيث يقول مختالاً :

إِذَا مَا الَمِلْكُ سَامَالْنَّاسَ خَسْفاًأَبَيْنا أَنْ نُقِرَّالذُّلَّ فِينا

مَلاَنا الْبَرَّ حَتَّى ضَاقَعَنَّاوَمَاءَ الْبَحْرِ نَمَلؤُهُسَفِينا

إِذا بَلَغَ الْفِطَامَ لَناصَبِيٌّتَخِرُّ لَهُ الْجَبابِرُساجِدِينا (1)

والفخر هو أن يتشدق الإنسان بكلام غير صحيح ، أو مبالغ فيه ، فيحكي عما فعله ويمجده ويعلي من شأنه ، وكأنه مصد عطاء كل البشر . (2)

ثانياً ـــ نموذج المرأة السّلبيّة:

لقد كان للمرأة في الجاهلية مكانة عالية،ومنزلة مرموقةلا تُدانى ، والدليل على ذلك شعرالشعراء وأدب الأدباء ينغنى بها،ولا يفتأ عن ذكرها حتى في حروبه.

يقول عنتر بن شداد العبسي:

ولقَد ذكرتُكِ والرِّماحُ نَواهِلٌ مِنِّي وبِيضُ الهندِ تَقْطُرُ مِن دَمي

فَوَدِدْتُ تقبيلَ السُّيوفِ لأنَّها لمعَتْ كبارقِ ثغرِكِ المُتبسِـــــمِ (3)

---

(1) ـــ المرجع السابق . ص224 .

(2) ـــ الشعراوي ، مرجع سابق . ص 29 .

(3) ـــ معبدي ، محمد بدر . أدب النساء في الجاهلية والإسلام . ص 3 .

وأولى النساء اللواتي شغلن المعلقات وطاب ذكرهن عبلة ،التي شغفت عنترة حباً ، لكمال أخلاقها ، وعفتها ، حتى إنه بدأ معلقته بذكرها فيقول :

هَلْ غَادَرَالْشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِأَمْ هَلعَرَفْتَ الْدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

يَا دارَعَبْلَةَ بِالَجِوَاءِ تَكَلَّمِيوَعِمِيصَبَاحاً دارَ عَبْلَةَ وَاسْلَمِي(1)

وعنترة يدلل على عفاف عبلة ، ويحترم علاقته معها ، وبثبت أنها بعيدة عن مغازلة الرجال ، لكن حبي لها جاء بدون قصد ، حيث رأيتها صدفة. يقول عنترة :

عُلِّقْتُهاعَرَضَاً وَأَقْتُلُ قَوْمَهازَعْماًلَعَمْرُ أَبيكَ لَيْسَ بِمَزْعَمِ

وَلَقَدْنَزَلْتِ فلا تَظُنِّي غَيْرَهُمِنِّيبِمَنْزِلَةِ الُمحَبِّ الُمكْرَمِ(2)

وعبلة ليست من اللواتي يلحقن الحبيب كلما يطلب ، فهي صاحبة خلق ، وتتسم بالبراءة والصدق ، وهي لا تبالي بالرجال . يقول عنترة :

تُمسِيوَتُصْبِحُ فَوْقَ ظَهْرِ حَشِيَّةٍوَأَبِيتُفَوْقَ سَرَاةِ أَدْهَمَ مُلْجَمِ (3)

وإذا كان فكر المرأة مختلفاً عن فكر الرجل فيما يخص بعض مزاياه،فإنهامع ذلك مساوية له في القيمة . (4)

---

(1) ــ الزوزني . شرح المعلقات السبع . معلقة عنترة . جامعة الملك سعود . 1957 م . ص 74 ــ 75 .

(2) ــ المرجع السابق . ص 75 .

(3) ــ نفس المرجع ، ص 78 .

(4) ــ آنزيو ، آني . المرأة الأنثى . ط1 . 1992 م . ص 5 .

وإيجابية المرأة قد تختلف بحسب عملها وسلوكها ، فهذا الأعشى ينظر إلى المرأة الإيجابية من خلال سلوكها العملي ، حي لا تخرج إلا لبيت الجيران ، ولا تفشي الأسرار أيضاً ، كما إنها محتشمة لا تضحك ، بل يدلل على وجودها بصوت حليها . يقول:

وهناك من يرى أن المرأة تبدو إيجابية في أناقتها ـــ كما عصرنا الحالي ـــ ومنهم زهير بن أبي سلمى . فيقول :

عَلَوْنَبأَنْماطٍ عِتَاقٍ وَكِلَّةٍورَادٍحَوَاشِيهَا مُشَاكهةَ الدَّمِ

وَوَرَّكْنَ فِيالْسُّوبانِ يَعْلُونَ مَتْنَهُعَلَيْهِنَّدَلُّ النَّاعِمِ المتَنَعِّمِ

بَكَرْنَبُكُوراً وَاسْتَحَرْنَ بِسُحْرَةٍفَهُنَّوَادِى الرَّسِّ كاليَدِ لِلْفَمِ

وَفيهِنَّمَلْهَىً لَّلطِيفِ وَمَنْظَرٌأَنيقٌلِعَيْنِ الْنَّاظِرِ الُمتَرَسِّمِ (2)

وتبقى المرأة الجاهلية رمز الخصوبة لدى العرب وقتئذ ، فكلها إيجابية ، لكن تختلف بحسب نظرة كل إنسان ، لكن قمة الإيجابية تتمثل في حسن أخلاقها ، أو في سلوكها المحمود ، أو في أناقتها ومنظرها البديع .

---

(1) ـــ الزوزني ، شرح المعلقات العشر، ص 314 ـــ 315 .

(2) ـــ نفس المرجع ، ص137ـــ 138.

الفصل الثالث:الثنائيات الضدية الجمالية

المبحث الأول: ثنائية النافع والضار.

نفع:(لسان العرب) والنفْعُ ضِدُّ الضرِّ، في أَسماء الله تعالى النافِعُ: هو الذي يُوَصِّلُ النفْعَ إِلى مَن يشاء من خلْقه حيث هو خالِقُ النفْعِ والضَّرِّ والخيْرِ والشرِّ.النَّفْعُ (القاموس المحيط)النَّفْعُ، كالمَنْعِ: وقد انْتَفَعَ. ورجلٌ نَفُوعٌ: نَفَّاعٌ،نفع (الصّحّاح في اللغة)النَفْعُ، ضد الضُرُّ. يقال: نَفَعْتُهُ بكذا فانْتَفَعَ به، والاسمُ المَنْفَعَةُ.ضرر (لسان العرب) الضَّرَر، وهو ضد النفع.والمَضَرّة: خلاف المَنْفعة. والضَّرَرُ: النقصان يدخل في الشيء، يقال: دخل عليه ضَرَرٌ في ماله. الضّرَرِ، وهو الضِّيقُ.

أولاً ــ النافع : ويقسم بحسب دراسة المعلقات إلى قسمين :

1 ــ النافع المعنوي .

2 ــ النافع المادي .

1 ــ النافع المعنوي : والنفع المعنوي هو الذي يعطي للنفس البشرية والروح الدفع المعنوي كي لا تصدأ من صدمات الحياة القاسية ــ وخاصة في الصحراء العربية القاسية الظروف والمناخ ــ حيث لا رحمة إلا من رب السماء ، خالق الأكوان الله رب كل شيء ومليكه ، فكان العربي بحاجة ماسة إلى ما يذهب عن نفسه الهموم ، أو يعينه على مشاق الحياة ومتاعبها .

وإن أول ما يمثل النفع المعنوي للعربي هي الأطلال ، إذ الوقوف عليها فيه راحة للنفس ، فالنفس البشرية ترتاح ، وتميل للمكان الذي تحبه ، كي يشحذها بشحنة من العواطف تعينه على الحياة والاستمرار فيها ، ومن هنا نرى الذين يفقدون الأحبة عادة ما يترددون

إلى قبور محبوبهم ، وكذلك الجاهلي يجد في الطلل سلوة لنفسه كتلك السلوة التي يجدها من يفقد حبيبه ، أو يضيع منه ، إذ الفراق مكتوب على كل البشر بلا استثناء،قال تعالى:

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27)﴾ (1)

ويقول لبيد :

بِمِنىً تَأَبَّدَ غَوْلُهَافرِجَامُهَاعَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلّهَافَمُقَامُهَا

خَلَقاً كما ضَمِنَ الوِحيُسِلامُهُافَمَدافِعُ الرَّيَّانِ عُرِّيَرَسْمُهَا

حِجَجٌ خَلَوْنَ حَلالُهاوَحَرامُهادِمَنٌ تَجَرَّمَ بَعْدَ عَهْدِأَنِيسِها

وَدْقُ الرَّوعِدِ جَوْدُهَا فَرِهَامهارُزِقَتْ مَرابِيعَ النُّجومِوَصَابَها (2)

فالطلل يذكر الشاعر بالأحبة الذين كانوا هنا ثم ارتحلوا ، وفي ذلك سلوة للنفس ، حيث ما وقف الشاعرهنا إلا ليتذكر أيامه الحلوة في هذا المكان ، حيث كل ركن فيه ذكرى حلوة للشاعر، فمنى والغول والرجام أماكن لها مترلتها في قلب الشاعر ووجدانه ، كيف لا وهي مرتع صباه ولهوه وهواه ؟. .

وكذلك إذا قرأنا معلقة الشاعر عنترة ، نجده وقف لا للتسلية واللعب ، بل للترويح عن النفس ، إذ بتذكر عبلة تهون الخطوب وتذهب المدلهمات ، والشاعر يصرح هنا بأن الطلل يقضي حاجة عنده ، وهذا لدليل كبير على أن الجاهلي يستفيد معنوياً عند وقوفه على الطلل. والله أعلم .

---

(1) ــ سورة الرحمن . الآية رقم 26 ، 27 .

(2) ــ الزوزني ، شرح المعلقات العشر ، ص 158 ــ 170 .

يقول عنترة العبسي :

هَلْ غَادَرَالْشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِأمْ هَلعَرَفْتَ الْدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

يَا دارَعَبْلَةَ بِالَجوَاءِ تَكَلَّمِيوَعِمِيصَبَاحاً دارَ عَبْلَةَ وَاسْلَمِي

فَوَقَفْتُفِيها نَاقَتِي وَكَأَنَّهَافَدَنٌ لاَقْضِي حَاجَةَ الُمتَلِّومِ

وَتَحُلُّعَبْلَةُ بِالَجوَاءِ وَأَهْلُنَابِالَحزْنِفَالصَّمَّانِ فَالُمتَثَلَّمِ

حُيِّيتَ مِنْطَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُأَقْوَىوَأَقْفَرَ بَعْد أُمِّ الَهيَثْمِ (1)

كما نجد الشاعر عبيد بن الأ برص يتذكر نبع الماء والجبل والأمكنة التي عاصرها وكان يعيش الناس فيها ، حيث يجد السلوة والأنس في الوقوف بين جنباتها ن وعلى ترابها الغالي المحبوب . فيقول:

أقفــرَ من أهلهِ مَلْحــوبُفالقُطبيَّـــات فالذَّنـــــوبُ

فَراكِـــسٌفثُعَيــلِبـــاتٌفَــذاتَ فَــرقَــينِ فالقَــلِيبُ

فَعَــرْدةٌ ، فَقَفـــا حِــبرِّلَيسَ بِها مِنهُـــمُ عَــريبُ

وبُدِّلَتْ مِنْ أهْلِها وُحوشًاوغَــيَّرتْ حالَها الخُطُـــوبُ

أرضٌ تَوارَثَهــا الجُدوبُفَكُــلُّ من حَلَّهــا مَحْــروبُ (2)

---

(1) ــ المرجع السابق ، ص 234 ــ 235 .

(2) ــ المرجع نفسه ، ص 330 .

وهذا طرفة بن العبدالبكري تفيض عيناه من الحزن على فراق من أحب ، فلم يجد معوضاً له سوى الوقوف على أطلال درست لخلوها ممن يحب ، لكنها تبقى مرتبطة بأناس أحبهم وأحبوه . إنه الفراق المحتم على بني البشر ، يقهر العباد بالموت ، والأحبة بالفراق .

يقول طرفة :

لِخِولة أَطْلالٌ بِبَرْقَةِثَهْمَدِتَلُوحُ كَبَاقي الْوَشْمِ فيظَاهِرِ الْيَدِ

وُقُوفاً بِهَا صَحْبيعَلَيَّ مطِيَّهُمْيَقُولُونَ لا تَهْلِكْأَسَىً وَتَجَلَّدِ (1)

ففي رأي الأصحاب أن الوقوف على الطلل يجب أن يعطي التجلد والعزيمة والقوة،لا الأسى والحزن والتذكر فقط .

وكذلك فزهير بن أبي سلمى وقف على الطلل متذكراً منازل أم أوفى التي لا تجيبه، عله يطفئ جذوة الحب في قلبه ، لكن هيهات هيهات ، فحتى اندثارمنازل الأحبةلا يقلل من جذوة الهيام،فالحب لا يكتب على الجدران الدارسة،بل يُحْفَرُعلى جدران القلوب.

يقول زهير:

أَمِنْ أُمِّأَوْفَي دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِبِحَوْمَانَةِالدَّرَّاجِ فَالْمُتَثَلَّمِ

وَدَارٌ لهابالرَّقْمَتَيْنِ كأَنَّهَامَرَاجِيعُوَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ

بِهَا الْعَيْنُوَالأَرْآمُ يْمَشِينَ خِلْفَةًوَأَطْلاَؤُهَايَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ

وَقَفْتُ بِهَامن بعْدَ عِشْرِينَ حِجَّةًفَلأْيًاعَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ (2

)_____

(1) ــ الزوزني ، شرح المعلقات العشر ، ص 91.

(2) ــ المرجع نفسه، ص 133 ــ 134 .

ومنهم ــ لما وقف على الطلل ــ وقف يبكي بصوت عال ، معللاً نفسه ببقائها في ديار المحبوبة ،عل نفسه تهدأ ، وقلبه يرتاح ، كما نراه أصبح من فرط الهوى يرى بعر الظباء حَبَّ فلفل .

إنه امرؤ القيس حيث يقول :

قَفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَىحَبِيبٍ وَمَنْزِلِبِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَالدَّخُولِ فَحَوْ مَلِ

فَتُوضِحَ فَالْمِقْرَاةِ لَمْيَعْفُ رَسْمُهَالِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍوَشَمْأَلِ

تَرى بَعَرَ الأرْآمِ فِيعَرَصَاتِهاوقِيعانِها كَأَنَّهُ حَبُّفُلْفُلِ(1)

والمنفعة المعنوية عند النابغة الذبياني الذي وقف وقت غروب الشمس الوقت الجميل . إنه طَلبَ هذا الوقت لأنه أنسب الأوقات للوقوف مع المحبوب ، فغياب المحبوب لا يعني الموت ، بل من الممكن تذكره وتذكرالأيام الحلوة معه ،والوقوف مع الأماكن التي عاش فيها سنين طوال . يقول النابغة :

يا دارَ مَيّةَ بالعَلْيْاءِ فالسَّنَد أقْوَتْ وطَالَ عليها سالفُ الأبَدِ

وقفتُ فيها أُصَيلانًا أُسائِلُها عَيَّتْ جَوابًا وما بالرَّبعِ مِن أحَدِ (2)

2 ــ النافع المادي : ويشمل كل مساعدة مادية من أي طرف كان ، ومن ذلك المطر الغيث القادم من السماء ..

---

(1) ــ المرجع السابق ، ص 29 ــ 30 .

(2) ــ المرجع نفسه ، ص 292 .

يقول عنترة :

أَوْ رَوْضَةً أُنُفاً تَضمَّنَ نَبْتَهَاغَيْثٌ قَلِيلُالدِّمْنِ لَيْسَ بِمَعْلَمِ

جادَتْ عَلَيْهِكُلُّ بِكْرِ حُرَّةٍفَتَرَكْنَكُلَّ قَرارَةٍ كالدِّرْهَمِ (1)

ومن النفع المادي تقديم الطعام للضيوف والفقراء وغيرهم يقول لبيد :

وَجزُورِ أَيْسارٍ دَعَوْتُلِحَتْفِهابِمَغَالِقٍ مُتَشابِهٍ أَجْسامُها

أَدْعُو بِهِنَّ لِعَاقِرٍ أَوْمُطْفِلٍبُذِلَت لجيرانِ الَجميعِ لِحامُها

فَالضَّيْفَ وَالجارُ الَجنِيبُكَأَنَّماهَبَطَا تَبالَةَ مُخْصِباًأَهْضامُها (2)

ثانياً ــ الضَّار :يختلف مفهوم الضار في شعر المعلقات ، حيث يتمثل الضرر في نظرة الجاهلي بصور مختلفة منها قطع العلاقة بين الحبيبين ، حيث إن الحبيبة منالها صعب ،لأسباب منها بعد المسافات والعادات والعداوات،لذلك فالجاهلي قدلايستطيع بلوغ مأربه منها.يقول لبيد في ذلك:

بَلْ مَا تَذَكّرُ منْ نَوَارَوَقَدْ نَأَتْوَتَقَصَّعَتْ أَسْبَابُهاوَرِمَامُها

مُزِّيَّةٌ حَلّتْ بِفَيْدَوَجَاوَرَتْأَهْلَ الْحِجَارِ فأْيْنَ مِنْكَمَرَامُها (3)

---

(1) ــ المرجع السابق، ص 238 ــ 239 .

(2) ــ المرجع نفسه، ص 188 ــ 189 .

(3) ــ المرجع نفسه، ص 166

والشاعرـــ من شدة ما عاناه من القطيعة والهجران ـــ يئس وترك الحبيبة فنراه يخاطب نفسه قائلاً :

فَاقْطَعْ لُبَانَةَ مَنتَعَرَّضَ وَصْلُهُوَلشَرُّ واصِلِ خُلَّةٍصَرَّامُهَا

وَأحْبُ الُمحَامِلَ بَالجزيلِوَصَرْمُهُبَاقٍ إِذَا ظَلَعَتْ وَزَاغَقِوامُهَا (1)

وقد تكون هدأة الليل وتوقع الموت فيه من صورالضار أيضاً.

يقول طرفة بن العبد البكري:

طَحورانِ عُوّارَ الْقَذَىفَتَراهُماكمِكْحَلَتَيْ مذعورَةٍ أُمِّفَرْقَدِ

وَصَادِفَتَا سَمْعِالتَّوَجُّسِ للسُّرىلِهَجْسٍ خَفِيٍّ أَوْلِصَوْتٍ مُنَدِّدِ(2)

وكذلك فالموت، وفقد المال من صور الضرر عند الجاهليين.يقول طرفة بن العبد البكري:

أَرى اَلموت يَعْتامُالكِرَامَ ويَصْطفيعَقِيَلةَ مَالِ الْفَاحِشِالُمتَشَدِّدِ

أرَى الْعَيْشَ كنزاً ناقصاًكلّ لَيْلَةٍوَمَا تَنْقُصِ الأَيَّامُوَالدّهرُ يَنْفَدِ(3)

ومن صور الضار ما يحصل للفريسة وأحياناً للمفترس، ويظهر ذلك في معلقة لبيد حيث يقول مبيناً هذا الضرر:

---

(1)ـــ الزوزني ، شرح المعلقات العشر ، ص 168 .

(2)ـــ المرجع نفسه ، ص 104

(3)ـــ المرجع نفسه ،ص 114 ،115 .

حتى إذا يَئِسَ الرُّمَاةُوَأَرْسَلُواغُضْفاً دَوَاجِنَ قافِلاًأَعْصامُها

فَلَحِقْنَ وَاعْتَكَرَتْ لهامَدْرِيَّةٌكالسَّمْهَرِيَّةِ حَدُّهَاوَتَمامُها

لِتَذُودَهُنَّ وَأَيْقَنَتْ إِنْلم تُذُدْأَنْ قَدْ أَحَمَّمِنَ الحُتُوفِحِمامُها (1)

---

(1) ــ المرج السابق ، ص 181 .

المبحث الثاني ــ(ثنائية الممتع والمؤلم):

أولاً ــ الممتع:متع (لسان العرب)وأَمْتَعَ بالشيء وتَمَتَّعَ به واسْتَمْتَع: دام له ما يسْتَمِدُّه منه.متع (مقاييس اللغة) استمتعت بالشَّيء.والمُتْعة والمَتَاع: المنفعة.مَتَعَ (القاموس المحيط)والمَتاعُ: المَنْفَعَةُ، والسِّلْعَةُ، والأداةُ، وما تَمَتَّعْتَ به من الحَوائجِ،ج: أمْتِعةٌ، وقولُه تعالى: {ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ}، أي: ذهَبٍ وفِضَّةٍ{أو مَتاعٍ} أي:حديدٍ وصُفْرٍ ونُحاسٍ ورَصاصٍ.

والشعور بالمتعة يلاصق الإنسان،حيث يضفي عليه شعوراً يجعله يحلق في أعالي السماء ، ومن مثل ذلك شعورعنترة بالنصر على عدوه القوي الكريم المدجج بالسلاح حيث يقول:

وَمُدَجَّجٍكَرِهَ الْكُماةُ نِزَالَهُلا مُمْعِنٍهَرَبَاً وَلا مُسْتَسْلِمِ

فَشَكَكْتُبالرُّمْحِ الأَصَمِّ ثيابَهُلَيْسَالْكَرِيمُ على القَنَا بُمحَرَّمِ

فَتَرَكتُهُجَزَرَ الْسِّبَاعِ يَنُشْنَهُبَقْضُمْنَحُسْنَ بنانِهِ وَالِمعْصَمِ (1)

ومن صور الممتع في شعر المعلقات أيضاً الشعور بمتعة القوة العضلية، حيث نرى عنترة بن شداد يشعر بها إذ يقول :

في حَوْمَةِالَجرْبِ الّتي لا تشْتَكيغَمراتِهَاالأبْطالُ غَيْرَ تَغَمْغُمِ

إِذْ يَتَّقُونَبي الأَسِنَّةَ لم أخِمْعنها وَلكِنِّيتَضَايَقَ مُقْدَمي

لّما رَأَيْتُالْقوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهمْيَتَذامَرُونَكَرَرْتُ غيرَ مُذَّممِ(2)

---

(1)ــ الزوزني ، شرح المعلقات العشر ، ص 250 ــ 151.

(2)ــ المرجع نفسه ، ص 254 ــ 255 .

وعنترة شعر بالمتعة لما أحس أن كل الشجعان يحتمون به ، لأنهم يعلمون أنه الأقوى والأشجع ، وهو لا يفر من الحتوف مهما كانت خطرة ، بل نراه في كل الحروب يبتسم غير خائف ولا متهيب لها .

وإن الشعور بقوة القبيلة وسطوتها من جوانب الاستمتاع ، لأن ذلك يعطي المرء عزة وأنفة وغروراً لا حدود له ، فهذا عمرو بن كلثوم يشعر بمتعة لا حدود لها لأن قبيلته لها سطوة وقوة بين القبائل حيث يقول مستمتعاً :

وَأَيَّامٍ لَنَا عزٍّطِوَالٍعَصَيْنا الَمِلْكَ فيهَا أَنْنَدِينا

وَسَيِّدِ مَعْشَرَ قَدْتَوَّجُوهُبِتَاجِ الُمِلْكِ يَحْمِيالُمْحَجرِينا

تَرَكْنا الَخيْلَ عَاكِفَةًعَلَيْهِمُقَلَّدَةً أَعِنَّتَهاصُفُونا

وَأَنْزَلْنا الْبُيُوتَ بِذِيطُلُوحٍإِلَى الشَّامَاتِ تَنْفِيالُموعِدِينا

مَتَى نَنْقُلْ إِلى قَوْمٍرَحَانايَكُونُوا فِي الِّلقَاءِ لَهاطَحِينا(1)

فالشاعر في كل الأبيات نراه يستخدم ضمير (نحن) لأنه يشعر بالمتعة وهو يتحدث عن القبيلة بلسان الجماعة لا الفرد الواحد ، فالقبيلة تحقق له المنفعة والفائدة ما دام منتسباً إليها ، فالقبيلة مصدر فخر الشاعر وأصالته.

---

(1) ــ المرجع السابق ، ص 207 ــ 208

ثانياً ــ المؤلم: ألم (لسان العرب)الأَلَمُ: الوجَعُ، والجمع آلامٌ.إن الألم يحدث لأسباب طارئة عن الإنسان وخارجة عن إرادته في كل الأحوال ، وقد يكون الألم النفسي بسبب الوداع لمن نحب كما يقول الأعشى :

وَدِّعْ هريرةَ إنَّ الرَكبَ مُرْتَحِلُ وهَل تُطيقُ وداعاً أيُّها الرَجُلُ(1)

وتبقى خبرة الألم خبرة معاناة ،والمعاناة هي حالة نفسية ، والعقل يلعب دوراً مناهضاً للألم يقلل من الإحساس به ، أو يلغيه أو يجعله محبباً مصحوباً بالسرور . (2)

وقد يصيب الإنسانَ الألم النفسي لحوادث الزمان ومصائبه.يقول الحارث اليشكري:

وَأَتَانَا مِنَالْحَوَادِثِ وَالأَنْبَاءِ خَطْبٌنُعْنَى بِهِ وَنسَاءُ (3)

وقد يتكون الألم النفسي من شدة العتب وكثرة اللوم وخاصة من الذين كنت تكن لهم المودة الشديدة . يقول طرفة بن العبد :

فمالي أرَاني وَابْنَ عَمِّيمَالِكاًمَتَى أَدْنُ مِنْه يَنْأَعَنِّي وَيَبْعُدِ

يَلُومُ ومَا أَدْرِي عَلاَمَيَلُومُنيكما لامني في الحيّ قُرْطُبنُ مَعْبدِ

وأَيْأَسَنِي من كل خَيْرٍطَلَبْتُهُكأَنَّا وَضَعنَاهُ إِلىرَمْسِ مُلْحَدِ (4)

---

(1) ــ الزوزني ، شرح المعلقات العشر ، ص 314 .

(2) ــ صادق ، عادل ، الألم النفسي والعضوي . ص 15 ، 21 .

(3) ــالزوزني ، مرجع سابق ص 267 .

(4)ــ المرجع نفسه ، ص 115 ــ 116 .

وقد يكون الألم حسياً في كثير من الأحيان ويظهر ذلك في معلقة عنترة عند مخاطبته فرسه فيقول:

فازْوَرَّ مِنْوَقْعِ الْقنَا بلَبَانِهِوشَكا إِلَيَّبِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ

لَوْ كانَيَدْرِي مَا الْمحاوَرَةُ أشْتَكَىوَلَكَانَ لَوْعَلِمَ الْكَلامَ مُكَلِّمِي(1)

ومن الألم الحسي ما ظهر في معلقة لبيد وهو يصف المعركة بين البقرة الوحشية وكلاب الصيد ، وكيف قُتلت الكلبة كساب ، والكلب سخام ، فيقول :

فَلَحِقْنَ وَاعْتَكَرَتْ لهامَدْرِيَّةٌكالسَّمْهَرِيَّةِ حَدُّهَاوَتَمامُها

لِتَذُودَهُنَّ وَأَيْقَنَتْ إِنْلم تُذُدْأَنْ قَدْ أَحَمَّمِنَ الحُتُوفِحِمامُها

فَتَقصَّدَتْ مِنْهَا كَسَابِفَضُرِّجَتْبِدَمٍ وَغُودِرَ في الَمكَرِّسُخَامُها (2)

ونحن هنا أمام حالة قتل وموت رهيب ، ومع ذلك فالألم لم يظهر ه الشاعر ، لكنه في الحقيقة موجود بشكل صارخ، فلا قتل دون ألم وعذاب .

وعموماً إن الألم لا يمكن أن يكون حيادياً ،أو أن تصاحبه مشاعر حيادية بل لا بد أن تصاحبه حالة وجدانية ظهرت أم لم تظهر . (3)

---

(1)ــ المرجع السابق ، ص 255 ــ 256 .

(2)ــ نفس المرجع . 181 .

(3)ــ صادق ، مرجع سابق ، ص 22 .

المبحث الثالث ــ ثنائية الكريم،البخيل:

أولاً ــ البخيل :(لسان العرب)البَخْل والبُخول ضد الكرم،(قاموسالمعاني)يَخِلَ الرَّجُلُ: ضَنَّ بِما عِنْدَهُ مِنْ مالٍ . بَخِلَ عَلَيْهِ بِماَ عِنْدَهُ : مَنَعَ عَلَيْهِ ما عِنْدَهُ . والذي يقع عليه اسم البخل هو مَن بخل بما في يده أن يعطي منه،وأبخل الناس بماله أجودهم بعره .(1)

والبخل صفة الرجل البخيل الذي لا خير فيه ، فمن يبخل على الآخرين من بني جنسه فإنما يبخل عن نفسه ، لأنه بهذا البخل يجعل الآخرين يمنعون حوائجهم عنه ، ويكرهونه ، وقد تجلت ظاهرة البخل في شعر المعلقات بصور مختلفة منها على سبيل المثال عدم إنفاق المال حباً بكثره ، من مثل قول طرفة بن العبد البكري :

أَرَى قَبْرَ نَحّامٍ بَخَيلِبِمَالِهكَقَبْرِ غوِيٍّ في البطالَةِمُفْسِدِ (2)

وقد يكون البخل ليس في المال فحسب ، بل في تلبية حاجات الآخرين أي ؛ بخل معنوي ، ويظهر هذا في قول طرفة لابن عمه مالك :

فمالي أرَاني وَابْنَ عَمِّيمَالِكاًمَتَى أَدْنُ مِنْه يَنْأَعَنِّي وَيَبْعُدِ

يَلُومُ ومَا أَدْرِي عَلاَمَيَلُومُنيكما لامني في الحيّ قُرْطُبنُ مَعْبدِ

وأَيْأَسَنِي من كل خَيْرٍطَلَبْتُهُكأَنَّا وَضَعَنَاهُ إِلىرَمْسِ مُلْحَدِ (3)

---

(1)ــ البغدادي ، أحمد بن علي. البخلاء. ط 2. 2000 م . ص 71 ،83 .

(2)ــ الزوزني ، شرح المعلقات العشر ، ص 114 .

(3)ــ المرجع السابق ، ص 115 ــ 116 .

فابن عم الشاعر مالك بخيل في كل شيء ؛ بخيل في معاملته وبذله وإجابته ومصالحته ، وهذا محط استغراب الشاعر منه ، فهو يستغرب من كل هذا البخل وسوء المعاملة .

وكذلك فمن أصناف البخل البخل بالفضل، وخاصة على الأهل والعشيرة كما يراه الشاعر زهير حيث يقول :

وَمَنْ يَكُ ذافَضْلٍ فَيَبْخَلْ بفَضلِهِعلى قَوْمِهِيُسْتَغْنَ عنْهُ وَيُذْمَمِ(1)

وبهذا نرى أن للبخل أصنافاً مختلفة من وجهة نظر الجاهلي، تختلف بحسب رؤية كل واحد إلى الحياة .

ثانياً ــ الكرم:(معجم المعاني) أكرم الشَّخصَ شرَّفه ونزَّهه ، رفَع شأنَه وفضّله ، أَكْرَمَ ضُيُوفَهُ : قَدَّمَ لَهُمُ الأَكْلَ وَالشُّرْبَ عَنْ طَوَاعِيَةٍ .

ومن الكرم طهو الطعام وتقديمه لليضيفان ، ومن مثل ذلك قول امرئ القيس :

فظَلَّ طُهاةُ اللّحْم من بَيْنِمُنْضجِصَفِيفَ شِواءٍ أَوْ قَدِيرٍمُعَجَّلِ (2)

وتقديم القرى للضيوف أمر يكسب القبيلة مفخرة ، ومن لا يقدمه للضيوف فإن ذلك عيباً يجلب الشتم والعارللقبيلة ، ويظهر ها في قول عمرو بن كلثوم :

---

(1) ــ المرجع السابق، ص 152 .

(2) ــ نفس المرجع ، ص 35 ، 36 .

فَأَعْجَلْنا الْقِرَى أَنْتَشْتِمُونانَزَلْتُمْ مَنْزِلَالأَضْيَافِ مِنَّا (1)

من أصناف الكرم تقديم القِرى لكل محتاج ،ومقدارالكرم يُظهر قيمة الُمكرَم ، فكلما كان الكرم عظيماً ، فذلك من تعظيم المكرَم ، وهنا نرى الشاعر يختار لضيوفه الناقة العاقر لأنها أسمن لحماً ، واختارالناقة المطفل لأنها أنفس نوعاً وثمناً ،وكل ذلك تقدير للضيوف ومبالغة في الترحيب بهم يقول لبيد:

وَجزُورِ أَيْسارٍ دَعَوْتُلِحَتْفِهابِمَغَالِقٍ مُتَشابِهٍ أَجْسامُها

أَدْعُو بِهِنَّ لِعَاقِرٍ أَوْمُطْفِلٍبُذِلَت لجيرانِ الَجميعِ لِحامُها

فَالضَّيْفَ وَالجارُ الَجنِيبُكَأَنَّماهَبَطَا تَبالَةَ مُخْصِباًأَهْضامُها (2)

فالشاعر استخدم كلمة (منضج) النكرة التي تدل على كثرة الضيوف،فهم كثر،والدليل الآخرعلى الكرم أن الشاعرعدد أصناف طهي اللحم من كثرته،فمن الرجال من يشويه على الحجارة ، ومنهمم من يطبخه في القدور ، وهذا يدل على كثرة الضيوف والكرم .ومن الكرم إنفاق المال ـــ وقد يراه الجاهلي كرماً حتى لو أنفقه على شرب الخمرة ـــ والإنفاق على الندماء في الحانات ، وعلى الغانيات كمثل قول طرفة بن العبد البكري :

وَمَا زالَ تَشْرابيالُخْمورَ وَلَذَّتيوَبَيْعِي وَإِنْفَاقي طَريفيوَمُتْلَدِي

إِلى أَنْ تَحامَتْنيالْعَشيرَةُ كُلُّهَاوَأُفْرِدْتُ إِفْرَادَالْبَعِيرِ الُمعَبَّدِ (3)

---

(1) ـــ الزوزني ، شرح المعلقات العشر ، ص 208 .

(2) ـــ المرجعنفسه ،ص 189 .

(3) ـــ المرجع السابق، ص 110 ، 111.

والكرم في ظنهم يورث الخير والبركة بعد الموت حيث يقول طرفة :

كَرِيمٌ يروِّي نَفْسَهُ فيحَيَاتِهستَعْلَمُ إِن مُتْنا غَداًأَيّنا الصدي(1)

ومن صور الكرم أيضا بذل المعروف والخير يقول زهير :ً

وقَدْ قُلْتُما :إِنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ واسِعًابمالٍ ومَعْروفٍمن الْقَوْلِ نَسْلَمِ

فَأَصْبَحْتُمامنها على خَيرِ مَوْطِنبَعِيدَيْن فيهامِنْ عُقُوقٍ ومَأْثَمِ

عَظِيمَيْنِ فِيعُلْيَا مَعدٍّ هُديتُماومَنْيَسْتَبِحْ كتراً من الَمجدِيَعْظُمِ (2)

ومن الكرم أيضاً احتواء الحاقد ومنعه من إنفاذ حقده ، وكذلك رد الجاني عن الجريمة ، وفي لك يقول زهير بن أبي سلمى :

فكُلاًّأَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَعْقِلُونَهُصَحِيحاتِ مالٍطالِعاتٍ بِمَخْرِمِ

لِحَيٍّ حِلالٍيَعصِمُ النَّاسَ أَمْرُهُمْإِذَا طَرَقَتْإِحْدى اللَّيالي بُمعْظَمِ

كِرامٍ فَلاذُوالضِّغْنِ يُدْرِكُ تَبْلَهُوَلا الَجارِمُالجَاني عَلَيْهِم بُمسْلَمِ (3)

إذاً للكرم وجوه مختلفة بحسب ما يراه أصحاب المعلقات ، فلكل وجهة نظره التي تميزه عن غيره من الشعراء .

---

(1) ــ المرجع السابق، ص 114

(2) ــ المرجع نفسه ، ص 141 .

(3) ــ المرجع السابق ، ص 150 .

الخـــــاتمـــــة:

لم يكن عبثاً أن سمى العرب المعلقات بالمذهبات ؛ لأنها تحمل الذهب في باطنها ومعناها ، فالمعلقات ثروة الدارس في علم الجمال ، لينهل منها معينه من الذوق والأدب والفن والجمال ، لما فيها من ضروبه المختلفة،وفنونه الآخاذة ، إنها الجمال بعينه .

ولقد اطلعت على الدراسات المتعلقة بالمعلقات العشر جمالياً ، ورغم أهميتها ،وغزارة العلم فيها ،إلا أنها تفتقد للتخصيص والتفصيل،وخاصة في الجانب الجمالي ، فدارسوعلم الجمال ، إن اقتربوا منها ليدرسوها ـــ أي :المعلقات ـــ ما كانوا ليجدوا ما يشفي غلتهم من البحث الجمالي والتفصيل ، حيث لم تستخرج الثنائيات الجمالية ؛ الإيجابية منها أوالسلبية ،والتي تعج حناياها بها .

ومن نتائج البحث الآتي :

1 ـــــــــ لم تحدد المفاهيم والتصورات الجمالية في المعلقات من قبل ، فأغلب من درس المعلقات جمالياً درسها بشكل عام غير مختص ، فمثلاً كتاب (جماليات الشعر الجمالي) للدكتور هلال الجهاد لم يكن تناوله للقيم الجمالية مركزاً حيث إنه تناول القيم الجمالية بشكل غامض للدارسين ، و لم تدرس القيم الجمالية فيه بشكل واضح في المعلقات ، وكذلك فكتاب (الحب والجمال عند العرب) لأحمد تيمور بان لم يتعرض للقيم الجمالية بشكل واضح في المعلقات .

2 ـــــــــ التفصيل الجمالي للقيم الذي قدمه البحث عن كل شاعر من شعراء المعلقات ، فقد درس البحث المعلقات دراسة جمالية مركزة ، إذ لم يدرس أحد الأبواب والفصول التي درسها البحث من قبل .

3 ـــــــــ تحديد المفهوم الجمالي والنظرة الجمالية لكل من أصحاب المعلقات ، حيث تم التحديد الدقيق لهذه النظرة الجمالية ، وكما تم تقييمها ونوعها لدى شعراء المعلقات ليسهل على من يدرس المعلقات جمالياً التحديد والمساعدة .

4 ـ تقديم الثنائيات الجمالية في المعلقات بصورة تطبيقية مفصلة واضحة المعالم للدراسين والقرّاء ، وهذا ما يجعل الدارسين أكثر ثقة بما يقرؤون أويكتبون حول المعلقات أو أصحابها.

5 ـــــــــ تبيان سبب إبداع الشاعر الجاهلي حتى استطاع امتلاك نظرته الجمالية ، وهذا ما يفسر الاختلاف في الرؤى لدى شعراء المعلقات ، وإن تشابهت أحياناً .فهم نماذج مختلفة ، ولهذا السبب أيضاً فإن نظرتهم تختلف حول مفهوم كل ثنائية جمالية أيضاً .

6 ـــــــــ كما حاول البحث ان يوضح أهمية المنهج التحليلي في الدراسات التطبيقية ، وأنه لا غيره الأنفع فيها، لأنه يثبت من واقع الشعر الحقائق ، من خلال تقديم الأدلة القاطعة على أية فكرة تُطرح في الدراسة التطبيقية .

فهرس المصادروالمراجع:

1ــ آنزيو ، آني . المرأة الأنثى . ط1 . 1992 م .

2ــ الأصمعي، عبدالملك بن قريب . كتاب الإبل . ط1 . دار النشر . دمشق .

3 – الأصمعي ، فحولة الشعراء . ط2 .دارالكتابالجديدسنةالنشر: 1980 م .

4 ــ إيكو ، أمبرتو. جماليات القبح . مقال . ملحق ثقافي . الثورة يومية سياسية . مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر. 7/ 10 / 2008 م .

5 ــ بارت ، رولان، لذة النص . ط1 ، 1992 ، باريس .

6 ــ بان ، أحمد تيمور، الحب والجمال عند العرب ، دار الكاتب العربي 1982

7ــ البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن بردزبه)، صحيح البخاري ،حديث رقم (2102) . ج8 .

8 ــ البستاني، فؤاد أفرام .المجاني الحديثة. ج 1.

9 ــ البغدادي ، أحمد بن علي. البخلاء. ط2.دار ابن حزم . 2000 م .

10 ــ البهنسي ،عفيف، الفكر الجمالي عند التوحيدي .

11ــ التوحيدي ،أبو حيان. الهوامل والشوامل .

12 ــ ابن تيمية ،أحمد بن عبدالحليم، الجمال ،فضله ،حقيقته، أقسامه ،ط1 1413 هـــ . دار الشريف للنشر والتوزيع .

13 ـــــ الجمحي ، ابن سلام . طبقات فحول الشعراء . 139 ــ 231 ه .السفر الأول .دار المدني بجدة .

14ــ الجهاد،هلال. جماليات الشعر العربي في الوعي الشعري الجاهلي . ط1 . بيروت 2007 م .

15 ــ حسين ، إقبال قاسم . مقال: من هو الشريف ومن هو الوضيع ؟.العدد /4234 / ، 1/2/ 2011 .

16ــ حلبي ،سمير حسين ، الكرم والجود والسخاء ، ط1.سلسلة 18دار الصحابة للتراث .

17 ــ الدرة ،محمد علي طه .فتح الكبير المتعال على معلقات العشر الطوال.مكتبة السوادي .ط2 1989 م .

18 ــ الرافعي، مصطفى صادق، رسائل الأحزان في فلسفة الجمال والحب،مصر،مطبعة الهلال 1924.

19 ــ الزوزني.شرح المعلقات السبع .معلقة عنترة.جامعة الملك سعود . 1957 م.

20 ــ الزوزني ، الحسين بن أحمد ،شرح المعلقات العشر،معلقة الأعشى الأكبر .

21ــ الزوزني ، الحسين بن أحمد ،شرح المعلقاتت السبع ، 1993 م ، معلقة زهير بن أبي سلمى .

22 ــ سورة الرحمن . الآية رقم 26 ، 27 .

23 ــ الشعراوي ، محمد متولي . بين الفضيلة والرذيلة . 2002 م . دار القلم. بيروت .

24ـــ الشناوي ، أمنية إبراهيم . التفضيل الجمالي . جامعة طنطا . قسم علم النفس 1999.

25 ـــ الشنقيطي، أحمد الأمين، المعلقات العشر وأخبار شعرائها. المكتبة العصرية . بيروت . 2005م

26 ـــ صادق، عادل ، الألم النفسي والعضوي . أستاذ الطب النفسي والأعصاب بجامعة عين شمس

27ـــ ضيف ،شوقي،البطولة في الشعر العربي، ط2، دار المعارف .

28 ـــ ابن عربي ، محي الدين ،الفتوحات . 3 .

29ـــ العساف ، عبدالله خلف . الجميل والقبيح في الشعر الجاهلي . مقالة . العدد / 1288 / الخميس 26 ربيع الثاني 1424 هـــ .

30 ـــــالعشماوي . محمد زكي . فلسفة الجمال في الفكر المعاصر . دار النهضة العربية للنشر . بيروت . 1980 م .

31 ـــ عودة ،هشام ، مجلة القافلة ، ديسمبر 2009م ، ملف العدد ،البطل .

32ـــ الفيروز آبادي . القاموس المحيط .

33ـــ كارلوني ، النقد الأدبي ، ط2 . 1984 . بيروت . منشورات عويدات

34 ـــ انظر: كشاف اصطلاحات الفنون 330/1 ـــ 332 .

35 ـــ ابن الكلبي ، أنساب الخيل .

36ــ معبدي ، محمد بدر ، أدب النساء في الجاهلية والإسلام .القسم الأول . النشر .مكتبة الآداب. المطبعة النموذجية .

37 ــ معجم المعاني . شبكة الانترنت .

38 ــ ابن منظور الباحث العربي ، ، لسان العرب .

39ــ منظور ، محمد بن بكر . لسان العرب . ط1 ، بيروت .

40ــ ابن هشام . مغني اللبيب عن عن كتب الأعاريب .ج2

41ــ هيغل. المدخل إلى علم الجمال . فكرة الجمال .دار النهضة .بيروت. ط1 . 1978 .

انتهى .